

إعداد:

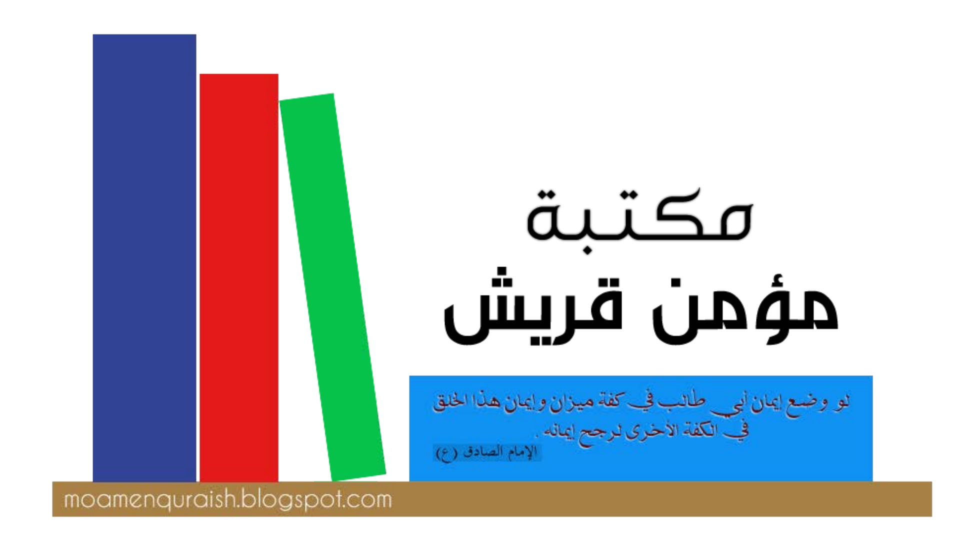
الممثلية الثقافية

لسماحة ولي أمر المسلمين (دام ظله)

ترجمة: الشيخ موسى ضاهر.

دار الولاء

بيروت - لبنان



الجهاد باب الأولياء



لبـنان - بيـروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس

تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25

www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com

E-mail:daralwalaa@yahoo.com

الكتاب: الجهاد باب الأولياء

نقلاً عن الأصل الفارسي "جهاد ودفاع در إسلام".

إعداد: الممثلية الثقافية لسماحة ولي أمر المسلمين(دام ظله)

المترجم: الشيخ موسى ضاهر.

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى. بيروت 2009م ـ 1430هـ

ISBN:978-9953-546-02-5

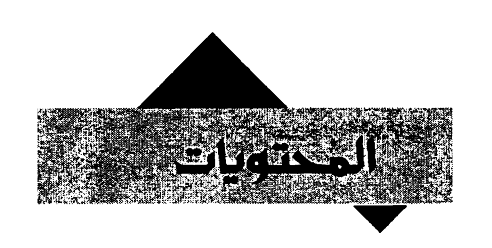
الجهاد باب الأولياء

إعداد:
الممثلية الثقافية لسماحة ولي أمر المسلمين (دام ظله)

ترجمة: الشيخ موسى ضاهر.

دار الولاء
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم



المحتويات

الإهداء

إلى إخواني في المقاومة الإسلامية

فوارس الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام.

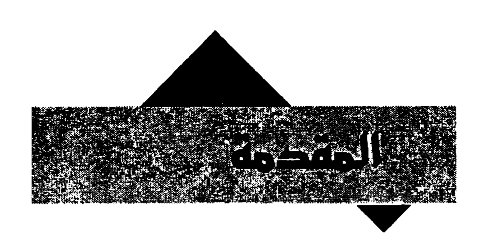
إلى جيل الجهاد الناشئ في أحضانها

يحملُ الراية ليكملَ المسيرويقرع

أبواب فلسطين الحبيبة، فيَسوء

وجوه اليهود ويتبّرَ ما علوا تتبيراً.

المترجم



قال رسول الله ﷺ: "**لكل أمّة سياحة وسياحةُ أمّتي الجهاد في سبيل الله**"، الحديث عن الجهاد اختصار لحقيقة الإسلام، وعرض لمنهجه في تربية الإنسان، وليس مجرد حديث عن حكم شرعي كسائر الأحكام الفقهية.

فكما هو الحال مع عموم الشريعة الإلهية، تعرّض فهمنا ـ نحن المسلمين ـ لحقيقة الأحكام الإلهية ودورها في حياتنا، إلى نوعٍ من التشويه والتحريف، وذلك من جراء مسائل عديدة تعرض لها هذا الدينُ، والتي كادت أن تقوّض بناءه الشامخ لولا تضحيات الأئمة عليهم السلام من آل بيت رسول الله ﷺ.

ولأجل أن يتلمس القارئ العزيز شيئاً من الحقيقة التي نشير إليها، نلفت انتباهه إلى ما جرى في صدر الإسلام الأول من سلب الخلافة من يد أمير المؤمنين عليه السلام، والذي لم يكن مجرّد حدث شخصي بين أهلِ البيتِ الواحد، كما قد يحلو للبعض أن يصوّره، وإنما كان هذا الحادثُ عملاً هدمَ العمادَ وحجر الزاوية في مشروع تحقيق أهداف النبوة الخاتمة، والذي يمكن اختصاره بأنه إيصال المجتمع البشري إلى كماله المنشود، والعيش في ظلّ الموازين والقوانين الأخروية...

فالانتقال بالمجتمع البشري إلى هذا المستوى والنوع من الحياة لا يمكن أن يتمّ إلاّ في ظل وجودِ الإنسان الكامل، العارفِ بقوانين الشريعة الإلهية ـ طريق الوصول إلى المقصد ـ والقادر على تربية الإنسان وتنفيذ أغراض النبوة في الأرض.

وبسقوط هذه الفرصة آنذاك، انفصل المجتمع الإسلامي عن هذا المشروع الإلهي المعدّ لهداية الناس جميعاً، وتحول الدين في حياتهم إلى مجرد عبادات

وأعمال لا يجمعها أي هدفٍ اجتماعي وسياسي، بل أضحت أعمالاً شخصية وفردية، بالكامل؛ هذا في أحسن الأحوال!

صحيح أننا شاهدنا من الفتوحات ما أدهش الألباب، حيث أخضعت معظم أصقاع العالم المعروف آنذاك للإسلام وحكومته، إلاّ أن تلك الفتوحات لم تكن بدافعٍ من وعي المسلمين ـ إلاّ قلة نادرة ـ لأهداف الإسلام النهائية، بل كانت صدىً لمرحلة حياة النبيﷺ.. فهذه الفتوحات في نظر النبي الأعظم كانت مطلوبة، لكن ضمن الخطة الكاملة للدين، والتي يمثل الإمام المعصوم محورها وروحها، وإلاّ لكانت كغيرها من الأعمال العسكرية التي قام بها أقوام آخرون عبر هذا التاريخ الممتد؛ وهو ما يفسّر لماذا خسر المسلمون بعد ذلك كل ما حققوه على هذا الصعيد!!

بناءً عليه، لو أردنا اليوم أن نعيد فهم الشريعة الخاتمة فهماً متكاملاً، يلزم علينا أن نتعمق في معرفة مشروعها السياسي ـ الاجتماعي، حيث أن كل حكم من أحكامها إنما يمثل ركناً من أركان هذا المشروع؛ والجهاد في سبيل الله يمثلُ الإطار العام والمنهج المتكامل الذي يعطي هذا المشروع ـ وبالتالي هذه الشريعة ـ روحها الواقعية، والذي تتحول الأحكام دونَه إلى جسد ميت لا حراك فيه.

إنّ المسلمَ القوي هو الذي يدرك حقيقة المشروع الإلهي، فيجعل من تحركه في هذه الحياة سلسلة من البرامج التي تخدم تنفيذ ما أراده الأنبياء جميعاً، لا سيما خاتمهم صلى الله عليه وآله، وتكون النتيجة أنّه يتكامل بنفسه وبالآخرين إلى ما تصبو إليه كل فطرة صافية من الكمال اللامتناهي.

هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ العزيز ربما لا يمثل كامل رؤية الإسلام العميقة بشأن الجهاد وموقعيته، بل هو في الواقع أشبه بالمتن التدريسي الذي يُعرِّف الإنسان المسلم بالرؤية الأولية المطلوبة للنفوذ في أعماق حقيقة الجهاد

التي أشارت إليها هذه المقدّمة، ولقد اختار دار الولاء للطباعة والنشر ترجمته إلى اللغة العربية ليكون في متناول قرّائها، انطلاقاً من هذا الغرض المشار إليه، وهو امتلاك تصور أولي شامل حول الجهاد وأقسامه وأبعاده المختلفة، على أمل أن تتسارع الأسئلة إلى أذهاننا، لتشكل لنا دافعاً نحو المعرفة الأشمل؛ والأهم من ذلك نحو ركوب سفينة النجاة الوحيدة في زمن أضحى الظلم فيه سمة الحياة اليومية في عالم يحكمه الطغاة والمستكبرون:

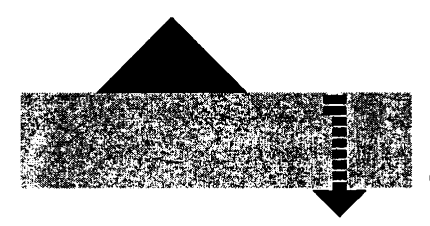
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

الناشر

بيروت لبنان

شباط ٢٠٠٨



الجهاد: التعريف والتشريع

تعريف الجهاد:

للتعبير عن معنى الجهاد، استخدم القرآن المجيد في آياته التي تحدثت عن هذا الموضوع، مفردتين اثنتين هما: الجهاد والقتال.

من الناحية اللغوية، اشتقت كلمة "الجهاد" من "الجَهْد" و"الجُهْد" بمعنى "المشقة والعناء" وبمعنى "الوسع والطاقة". وعليه، يكون معنى الجهاد هو بذل الوسع والطاقة وتحمل المصاعب في مواجهة العدو[1].

وتطلق كلمة الجهاد غالباً على عملية صَدّ العدو عن طريق الحرب، إلاّ أن معناها يتسع ليشمل دفع كل ما يمكن أن يصيب الإنسان بالضرر، كالمواجهة مع الشيطان الذي يُضل الإنسان، أو النفس الأمّارة التي تدعو إلى ارتكاب السيئات، حيث وصفت بعض الروايات مخالفة هوى النفس بالجهاد الأكبر[2].

وقد اعتبر بعض المفسرين الكبار أنّ آيات الجهاد الواردة في القرآن الكريم ناظرة في الواقع إلى هذين النوعين من الجهاد: جهاد النفس وجهاد العدو.

فعلى سبيل المثال، اعتقد العلامة الطباطبائي بأن معنى الجهاد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[4]، أعمُّ من الجهاد الأصغر والأكبر، بدليل القرائن الموجودة في نفس هذه الآيات.

---

1. يشير سماحة القائد دام ظله إلى شرط آخر لتصبح هذه المواجهة جهاداً، وهو أن تكون في سبيل الله تعالى.

2 . "مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر" الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

3 . المائدة: 35.

4. الحج: 78.

كذلك، فسّر العلامة الطبرسي معنى الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...﴾[5] بجهاد الكفار، وبمجاهدة أهواء النفس.

أما كلمة "**القتال**" فهي بمعنى الحرب، ولم تستعمل في القرآن المجيد سوى للإشارة إلى الحرب مع العدو الظاهري والخارجي.

ومن الناحية الاصطلاحية، تعد كلمة الجهاد مصطلحاً إسلامياً خاصاً، ويتمتع هذا البحث في الدراسات الفقهية بمنزلة رفيعة. وقد عرّف الفقهاء مصطلح الجهاد بأنه: "**بذلك النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان**"[6].

تشريع الجهاد:

شُرّع الجهاد في الإسلام لأول مرة، في المدينة المنوّرة. وذلك أن المسلمين في مرحلة تواجدهم في مكة المكرمة كانوا يفتقدون القوة والتجهيزات الكافية لمواجهة المشركين. ولذا، فقد لجأوا من أجل الدفاع عن أنفسهم إلى اعتماد السرية، وأخيراً اضطروا إلى الهجرة.

فبالإضافة إلى الدعايات المضادة، والحصاد الاقتصادي والاجتماعي، أنزل المشركون في المرحلة المكية، أشدّ أنواع الأذى والتعذيب الجسمي بالمسلمين، الذين كانوا يأتون دوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برؤوس مدماة وأيدي مكسورة وأبدان مهشّمة، يشتكون ما تفعله قريش بهم. وكان النبيﷺ يجيبهم بقوله: "**اصبروا، فأنا إلى الآن لم أؤمر بالقتال**"، إلى أن هاجر إلى المدينة. هناك نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[7]، وهي أول آية نزلت بشأن الجهاد، وأذنت للمسلمين بقتال عدوهم.

5 . العنكبوت: 69.

6 . جواهر الكلام، ج21، ص3، دار الكتب الإسلامية.

7 . الحج: 39.

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن مأذوناً بالجهاد إلى أن نزلت هذه الآية، فوضع جبرائيل عليه السلام بنفسه السيف على عاتق رسول الله صلى الله عليه وآله[8].

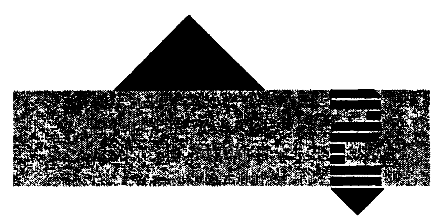
ويوضح العلاّمة الطباطبائي (رض) في جواب الذين ذهبوا إلى أن أول آية أذنت بالجهاد هي آية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...﴾[9]، يوضح قائلاً: **"والاعتبار يستدعي أن تكون آية سورة الحج هي التي نزلت أولاً، وذلك لاشتمالها على الإذن صريحاً، واحتفافها بالتوطئة والتمهيد وتهييج القوم وتقوية قلوبهم، وتثبيت أقدامهم بوعد النصر تلويحاً وتصريحاً، وذكر ما فعل الله بالقوى الظالمة قبلهم، وكل ذلك من لوازم تشريع الأحكام الهامة وبيانها وإبلاغها لأول مرة، وخاصة الجهاد..."**[10].

---

8 . راجع تفسير "نور الثقلين"، الحويزي، ج3، ص503، المطبعة العلمية، قم، إيران.

9 . البقرة: 195.

10 . الميزان، ج14، ص383.



فلسفة الجهاد في الإسلام (1)

من أولى الأسئلة التي تخطر في ذهن من يطّلعُ على حكم الجهاد في الإسلام ومن أكثرها أهمية، هي تلك التي تدور حول فلسفته: ما هو الهدف من تشريع حكم الجهاد؟ هل يسعى الإسلام أيضاً وراء فتح البلدان والسيطرة عليها؟ هل الهدف هو جمع الغنائم؟ هل الأهـداف المادية هي التي تدفع بالمسلمين نحو الجهاد؟..

والصواب أن أيّاً من الموارد المذكورة لم يكن من أهداف الجهاد أصلاً، وليس الجهاد في الإسلام مشابهاً لحروب طواغيت التاريخ وحملاتهم العسكرية. بل إن ما دفع لتشريع هذا الحكم في الحقيقة هو أمر فطري مغروس ومتجذر في نفوس جميع الموجودات؛ إنه حق الدفاع. فكل موجود حيّ، سواء كان إنساناً أم غير إنسان، يرى في الدفاع عن نفسه مقابل العدو حقاً طبيعياً له، وخالق العالم قد أودع في جميع الموجودات وسائل استيفاء هذا الحق.

إن الحق الفطري للدفاع عن النفس هو حق يتوسل به حتى المتسلطون والظالمون - ولو بغير حق - للدفاع عن نتائج أعمالهم وانجازاتهم.

وعليه، ليس هناك من شك ولا شبهة بشأن أصل الاستفادة من هذا الحق، وقد متّنه الإسلام من خلال تشريعه لحكم الجهاد. ولأجل تقديم بيان مفصّل عن "فلسفة تشريع الجهاد"، سوف نقوم في البداية بالحديث عن أقسامه، ومن ثم نعود لبحث هذا الشق من الموضوع.

الجهاد الدفاعي:

الجهاد الدفاعي هو عبارة عن دفاع المسلمين عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، وعن أوطانهم في وجه هجوم العدو. فالدفاع هو من المسائل البديهية التي توافق الفطرة والعقل والغريزة والشرع المقدس، ولا يتردد أي موجود حي في الدفاع عن نفسه وما يمتّ إليه بصلة.

وللمسلمين أفراداً وجماعات الحق كسائر الناس في الدفاع عن الإسلام وبقائه في أي ظرف من الظروف، وأي اعتراض قد يتلفظ به البعض ضد هذا الحق، هو اعتراض أبله لا ينسجم مع العقل. وأمّا كيف نقوم بالدفاع فهو أمرٌ قد أشار إليه القرآن والفقه الإسلامي، وبُيّنت تفاصيله بوضوح.

ونظراً للظروف الخاصة التي عاشها المسلمون في مكة زمان صدر الإسلام، لم يكن الجهاد ـ بصورة المواجهة العسكرية المباشرة ـ ميسراً. ولهذا السبب، وبتدبير من النبيﷺ وتحت قيادته وإشرافه، عمد المسلمون الأوائل الذين كانوا قلّة آنذاك إلى الابتعاد عن دائرة سطوة العدو (عن طريق الهجرة إلى الحبشة والمدينة). ومع هجرة الرسول الأكرمﷺ إلى المدينة، توفرت لهم ظروف الدفاع وشروطه، حيث أَذن الله تعالى لهم بنزول الآية التاسعة والثلاثين من سورة الحج بالدفاع عن أنفسهم بواسطة السلاح. وفي الآية التي تلتها، يتحدث القرآن الكريم بشكل صريح عن فلسفة الجهاد المشار إليها في بداية البحث، حيث يقول تعالى:

﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ﴾[11].

وفي آية أخرى، يتعرض لهذه الفلسفة أيضاً، لكن على نحو واسع وأكثر شمولاً، حيث يبيّن أنّه بدون الدفاع تمتلئ الأرض بالفساد، ولا يستقر حجر على حجر:

---

11. الحج: 40.

﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[12].

ومن الواضح أنّه ما لم يُدافع المؤمنون وعباد الله الصالحون عن حصون الدين وكيانه، فسوف يتمكن الكفار والمترفون وكل أتباع جبهة الباطل من السيادة بلا منازع، وذلك على أثر ضياع الشعائر الإلهية، وانهدام حصون الدين، وزوال أتباع الحقّ وطلابه. ولأن هؤلاء يمتلكون طبيعة مفسدة ومجرمة، فسيُشيعون الفساد والإجرام في كلّ الأرض؛ لكن الله سوف لن يمنحَ الكفار هذه الفرصة من خلال تعبئته لجبهة الإيمان، ودفع المؤمنين لقتالهم؛ وإرادة الله هذه، هي أجمل فلسفة لتشريع الجهاد الدفاعي.

الجهاد الابتدائي:

الجهاد الابتدائي هو ذاك الجهاد الذي يبادر فيه المسلون لقتال الكفار بهدف توسعة دائرة نفوذ الإسلام، أو إزالة الموانع من أمام انتشار الدعوة، أو لأجل نجاة المظلومين من يد الظالمين والمستكبرين، دون أن يكون هناك بحسب الظاهر أي هجوم عليهم من قبل العدو.

وتدل على هذا النوع من الجهاد آيات عدة في القرآن المجيد، منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ...﴾[13].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ..﴾[14].

كما ورد عن الرسول الأكرمﷺ قوله: **"أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فمن قال لا إله إلاّ الله فقد عُصِمَ من ماله ونفسه"**[15].

---

12. البقرة: 251.
13. التوبة: 123.
14. التحريم: 9.
15. كتاب الجهاد لآية الله نوري، نقلاً عن صحيح مسلم، ج1، ص38.

ولا يُعد حكم الجهاد الابتدائي حكماً مختصاً بمذهب من مذاهب المسلمين، بل هو مورد قبول الشيعة والسنّة على السواء، وقد ذكر العلماء في كلا المذهبين مباحث عديدة بشأنه من قبيل استثناء بعض الأزمنة والأمكنة من إعمال هذا الحكم فيها، أو تعيين الحد الأدنى من المقدار الواجب فيه، أو لزوم الدعوة إلى الإسلام قبل المبادرة إليه، وأنه مشروط بإذن الإمام المعصوم أو الإمام العادل، ولزوم جهاد الكفار الأدنى والأقرب إلى المسلمين. وفي طرح هذه المباحث تأكيد على وجود حكم الجهاد الابتدائي في الإسلام، لأنه لا معنى للاستثناء في الجهاد الدفاعي، إذ أنّ تحديد مكانه وزمانه مرتبط في الحقيقة بالعدو نفسه، كما أنه لا يُشترط إذن الإمام المعصوم فيه.

وعليه، فحكم الجهاد الابتدائي هو حكم قطعي، وما ينبغي الالتفات إليه فقط هو أن أهداف الجهاد المقدسة في الإسلام هي التي تميّزه عن غيره من الحروب التي ليس لها من هدف سوى تحقيق المكاسب الدنيوية والوصول إلى الرئاسة. وأغلب الأشخاص الذين قالوا بوجود حكم الجهاد الابتدائي في الإسلام، أشاروا إلى تعلّقه بموردين: الجهاد الابتدائي من أجل التحرير، والجهاد الابتدائي لرفع الموانع من أمام التبليغ والدعوة إلى التوحيد؛ وفيما يلي نعرض لهذه الموردين؛ الأول منهما ضمن هذا الفصل، والمورد الثاني في الفصل القادم.

أ. الجهاد لأجل التحرير

يتحتم العمل بهذا النوع من الجهاد الابتدائي، في المواطن التي يتعرض فيها عدد من الناس ـ مسلمين كانوا أم غير مسلمين ـ للظلم، ولا يمتلكون قدرة الدفاع عن أنفسهم. ففي مثل هذه الموارد، يجب على المسلمين بتكليف من الله تبارك وتعالى أن يهبّوا للدفاع عن هذه الفئة. وإن قعدوا عن ذلك مع امتلاكهم القدرة والاستطاعة، فقد أعانوا الظالم وارتكبوا معصية. وقد انحاز القرآن الكريم بشدة وقوة إلى هذا الجهاد، الذي هو في الحقيقة دفاع عن المظلوم، وعاتبَ القاعدين

والمثبّطين عنه بقسوة:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[16].

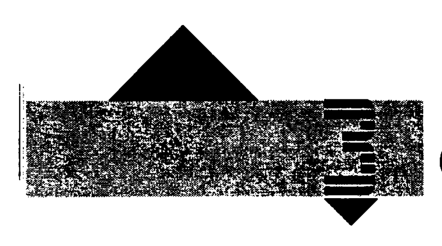
ومع أن سبب نزول هذه الآية هو بعض المسلمين الذين كانوا قد بقوا في مكة، يتحمّلون أذى المشركين وتعذيبَهم، إلاّ أننا نعلمُ أنّ سبب النزول لا يُخصِّصُ الآية، وأنَّ حكمها كليٌّ ودائم.

وفي سيرة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة وبعدها، وفي أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام بشأن حماية المظلوم، من الوضوح والكثرة ما يُغنينا عن التوسع في الحديث، ونكتفي في هذا المجال بنقل حديث واحد. فقد رُوي أن رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله قال: "**من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يُجبهُ فليس بمسلم**"[17].

ويشير الشهيد مطهري (قده) في كتاباته إلى مورد لزوم هذا النوع من الجهاد فيقول: "**من الممكن أن لا تتوجه فئة لحربنا، ولكنها قد توقع الظلم الشديد بعدد من الناس، في الوقت الذي تكون لدينا القدرة أن ننقذ أولئك الذين تعرّضوا للإعتداء. فإن لم نفعل، نكون في الواقع قد قدمنا المعونة للظالم. صحيح أنّ أحداً لم يعتد علينا في المكان الذي نتواجد فيه، ولكنه (قام بذلك) ضد أناس آخرين، قد يكونون من المسلمين وقد لا يكونون.. بلى إنّ هذا جائز، بل هو واجب**"[18].

---

16. النساء: 75.
17. الكافي، ج2، ص164، دار الصعب ودار التعارف، بيروت.
18. الجهاد، الشهيد مرتضى مطهري، ص27.



فلسفة الجهاد في الإسلام (2)

الجهاد دفاعاً عن انتشار الدعوة:

يعدُّ الجهاد لأجل رفع الموانع من طريق التبليغ والدعوة إلى دين الله، المورد الثاني للجهاد الابتدائي. ولبيان فلسفة هذا الأمر، وإثباتِ أن هذا القسم من الجهاد مبني على أساس حق الدفاع الفطري، سوف نقوم في البداية بتوضيح هذه المقدمة.

تتشعب الحقوق الموجودة في المجتمع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو الحقوق الفردية من قبيل الحقّ بالحرية الشخصية، والتملك، واختيار العمل.

القسم الثاني: هو الحقوق الاجتماعية المتعلقة بفئة أو جماعة من الناس شكلوا معاً مجتمعاً واحداً، أو يعيشون مع بعضهم البعض. من الأمثلة ضمن هذا المورد الحقُّ بالدفاع عن الاستقلال، والسيادة الكاملة، واللغة، والثقافة، والعادات والتقاليد...

أما **القسم الثالث**: فهو الحقوق المرتبطة بالنوع الإنساني، والتي لا تختص بأفراد أو جماعات، ولا بمجتمعات معيّنة، ويعبّرون عن مثل هذه الحقوق عادة بتعبير "حقوق الإنسان" أو "حقوق البشر"؛ وحرية الإنسان هي من مصاديق الحقوق في هذا القسم.

هذا الحق يحوز اليوم قبولَ الجميع في العالم، بحيث لو أنّ حرية فئة من البشر في زاوية من زوايا هذه الأرض تعرضت للسلب أو الانتهاك، فإنّ جماعات

وشعوباً كثيرة في نقاط مختلفة منه تسارع إلى حمايتهم، وتعلن اعتراضها على ما أصابهم وتتخذ إجراءات عملية لأجل الدفاع عن حقوق هؤلاء[19]. كما أن أحداً في المقابل لا يُدين الأشخاص الذين يدافعون عن حرية الآخرين، بل يثنون على جهودهم، خصوصاً حينما يقعون في المخاطر لأجل ذلك.

ومن جملة الحقوق الأساسية لأفراد الناس، حقهم في الوصول إلى الكمال الذي يليق بإنسانيتهم، وذلك عن طريق إدراك الحقائق وإتباع التعاليم الإلهية. وعليه، فلكل الناس الحق في أن يسمعوا دعوة الله بمنتهى الحرية، ويختاروها بعد تفكّر وتعقّل. لذا، لو قام فرداً أو أفراداً بمنع وصول نداء الحق إلى الآخرين، يكون في الواقع قد اعتدى عليهم. ولهذا السبب، أذن للمسلمين بقتال هؤلاء المعتدين كي يتمكن الناس الذين تعرّضوا للظلم من ممارسة حقهم الطبيعي في "اختيار الدين"[20] الذي يرتضونه. وقد أشار القرآن المجيد إلى هذا الجهاد بتعبير "رفع الفتنة" حيث يقول تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ...﴾[21].

ولا يتطلب مثل هذا الجهاد تظلُّم الشعوب واستغاثتها، بل هو رهن بتشخيص الإمام المعصوم عليه السلام. وحول هذا الموضوع يقول الشهيد مطهري (قده):

"فيما لو طلب المظلوم العون، هل يُعدُّ تقديمُ المساعدة أمراً جائزاً أو واجباً علينا؟ وحتى لو أنه لم يتقدم بطلب العون، هل يعتبر من الجائز أو الواجب علينا منحها؟ الصحيح أنه لا داعي كي يطلبَ المساعدة، إذ أنّ في نفس هذا القدر من الظلم الذي تعرّض له في الواقع، والذي أوجدَ سداً مانعاً أمام سعادته، حيث

---

19 . ينبغي الالتفات إلى بعضاً من دول العالم والمؤسسات الدولية يتظاهرون كذباً بالدفاع عن هذه الحريات لأجل تحقيق مطامعهم. وعليه، فهم ليسوا مقصودين بهذا الكلام.

20 . لأجل الاطلاع أكثر على مشروعية الدفاع عن الحقوق الإنسانية، يمكن مراجعة البحث الاجتماعي في المجلد الثاني من تفسير الميزان، صفحة 69 إلى 71 أو كتاب الجهاد للشهيد المطهري (قده) من صفحة 39 إلى صفحة 44.

21. البقرة: 193.

لا يدع (الظلمُ) الناس يطلعون على تلك الدعوة التي تكمن فيها سعادتهم، والتي إن سمعوها واطلعوا عليها فسوفَ يقبلُونها، هذا الظلم يشكل حافزاً كافياً من وجهة نظر الإسلام للنهوضِ في وجه هذا المانع الذي يتخذ شكل حكومة في مقابل جموع الناس، والعملِ على إزاحته"[22].

ثم يقول بشأن معارك صدر الإسلام المشار إليها:

"إن كثيراً من المعارك التي وقعت في صدر الإسلام كانت تحت هذا العنوان. فالمسلمون الذين كانوا يخرجون في تلك الحروب، كانوا يقولون بأننا لا نبغي قتال الناس، بل نحن نقاتل الحكومات لأجل إخراجهم من الذلة والعبودية لهذه الحكومات. وعندما سأل "رُستم فرخ زاد" ذلك العربي المسلم: ما هو هدفكم؟! أجاب: لنخرج العبادَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ الله"[23].

ويتحدث الإمام الخميني أيضاً عن هذا المورد من الجهاد الابتدائي فيقول:

"إن الأنبياء الذين كانوا يقاتلون أعداء "التوحيد" لم يكن مقصدهم أن يحاربوا ليزيلوا الطرف المقابل من الوجود. لقد كان مقصدهم هو أن ينشروا التوحيد في العالم، أن ينشروا دين الحق في العالم، وأولئك كانوا مانعاً أمام ذلك. كان الأنبياء يرونَ أنه لا بد من إزالة هذا المانع والوصول إلى الهدف.

لم يكن مقصد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يزيل مشركي مكة والجزيرة العربية من الوجود. لقد كان المقصد هو أن ينشر دين الإسلام، وأن تكون الحكومة هي حكومة القرآن والإسلام، ولأن أولئك كانوا هم المانع من أن تتحقق هذه الحكومة الإسلامية، فقد أدى ذلك إلى الحرب والمواجهة. أولئك كانوا يعارضون قيام الحكومة الإسلامية، وهو (لهذا) كان يقاتلهم"[24].

---

22. لم يذكر المصدر في الأصل، وإن كنا نرجح أنه من كتاب الجهاد للشهيد (قده).
23. كتاب الجهاد ص29-28.
24 . صحيفة النور، ج7، ص45-44.

خلاصة الكلام:

على ضوء ما تقدم، يمكن أن نلخص أهداف الجهاد في الإسلام بالأمور التالية، لكن من اللازم في البداية أن نقفَ قليلاً عند هذه الأهداف في كلام قائد الثورة الإسلامية، سماحة آية الله العظمى الخامنئي (دام ظله) حيث يقول: "إن مسألة الحرب في الإسلام هي من المسائل الأساسية والجوهرية، إن حرب الحكومة الإسلامية ليست حرباً لأجل التوسع، بل إن الحكومة الإسلامية تحارب في موردين ولأجل مقصدين اثنين. الأول، لأجل الدفاع عن بيضة الإسلام وحاكمية القرآن. فلو أراد الأعداء أن يعتدوا على هذه الحكومة الإسلامية التي قامت على أثر التضحيات المتوالية لأبناء الإسلام البواسل، وأن يسببوا ذبول هذه الوردة التي قد رويت بدماء الشهداء، ويجهَدوا في موتها، فإن يد الحكومة الإسلامية القديرة سوف تقطع اليد المغيرة عليها.

والمورد الثاني، هو لأجل أن يُضيء ويُشعَّ الإسلام وأحكام القرآن على جميع الشعوب المستضعفة كشمس ينتشر نورها ويسطع في كل مكان. فلو أرادت غيوم الطواغيت وناهبي العالم الحالكة أن تحول دون سطوع نور الإسلام، فسوف تمتد في ذلك الوقت يد الإسلام من جديد لتزيل هذه الموانع. وفي كلا الموردين يستلُّ الإسلام السيف للحفاظ على القيم المعنوية، ودفاعاً عن الأصالة والحقيقة"[25].

وفي سياق شرحه لأهداف الإسلام في الحرب، يشير المرحوم كاشف الغطاء بأن الوسائل التي قد استخدمها الإسلام لإصلاح المجتمع، وإرساء العدالة، وإزالة الظلم، تنحصر في أنواع ثلاثة: الدعوة والإرشاد، نظير استخدام الموعظة الحسنة والدعوة بالدليل والبرهان. المقاومةُ المسالمة والسلبية، مثل الإتحاد في وجه الظالمين وقطع العلاقات معهم، ورفضهم وعدم التعامل معهم. القيامُ

25. من إحدى خطب سماحة القائد في صلاة الجمعة، والتي جمعت في كتاب "در مكتبِ جمعه"، وقد أخذ هذا المقتطف من الجزء الثاني، ص356-355، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي.

المسلح والحرب. وبقدر ما وجد إلى ذلك سبيلاً، سعى الإسلام للإستفادة من الطريقين الأولين، ولتجنّب اللجوء إلى الطريق الثالث. وعندما رفعَ السيف، كان ذلك فقط في الحالات التي لم يقنع فيها الأعداء بالآيات والبراهين، وحالوا عن طريق القوة أمام انتشار دعوة الحقّ.

ويضيف قائلاً:

"فالإسلامُ لا يقاتل عبَطة واختياراً، وإنما يحرجُهُ الأعداء فيلتجئُ إليه اضطراراً ولا يأخذ منه إلاّ بالوسائل الشريفة فيُحرّم في الحرب والسلم التخريب والإحراق والسُّمَّ وقطع الماء عن الأعداء، كما يُحرّم قتل النساء والأطفال، وقتل الأسرى ويوصي بالرفق بهم والإحسان إليهم مهما كانوا من العداء والبغضاء للمسلمين.."[26].

والمسألة الأخرى التي ينبغي الحديث عنها بشأن لزوم تشريع حكم الجهاد هي أنّ ديناً قد شرع فعلاً لأتباعه تعاليم في جميع الأبعاد الفردية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والتربوية والعبادية، ليُعتبَر ديناً ناقصاً في حالٍ لم يُبيّن موقفه من المسائل المرتبطة بالجهاد والدفاع عن ذلك المجتمع. ثمَّ، ألا يصير ذلك سبباً في تزعزع جميع أركان مجتمعٍ يواجه أعداءً كثراً؟ وسبباً في تعطيل العمل بسائر التعاليم؟..

من هنا، يتضح ضعف الإشكال الذي يورده البعض على وجود قانون الجهاد في الإسلام، كما ويتبين أن الجهاد هو سبب عزة المجتمع الإسلامي أمام المجتمعات الأخرى، لأنّ مجتمعاً لا يمتلك قدرة الدفاع عن نفسه وعن المظلومين، ولا قدرة تبليغ دعوته، لهو مجتمع ميت وبلا حراك.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في جملة قصيرة إلى فلسفة الجهاد، وكأنه جمع

26. الميزان، ج4، ص164. نقلاً عن "المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون" للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

فيها كلّ أهدافه ـ سواءً منها الدفاع أو غيره ـ حيث قال: **"فرض الله.. الجهادَ عزّاً للإسلام"**[27].

الجهاد وحرية المعتقد

إن البعض من أعداء الإسلام الذين نظروا بعين مغرضة إلى أحكامه، يروجون بأنه دين السيف، وبأنه قد فرض عقائده على الناس بقوة حدّه، وهم يستشهدون على ذلك بحكم الجهاد الابتدائي.

بالتدقيق في فلسفة الجهاد، يظهر جلياً بطلان هذا الوهم، لأننا ذكرنا آنفاً أنّ الإسلام لم يشنّ أي حرب مطلقاً لأجل فرض العقيدة. وقد جاء نفي وجود مثل هذا التوجه، في آيات القرآن المجيد بشكل صريح، حيث يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾[28].

ويقول أيضاً: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾[29]

لقد أرسى الإسلام دعائم دعوته على الحكمة والبرهان والموعظة، ودعا مخالفيه إلى أن يأتوا ببرهان ودليل، وليس الجهاد إلاّ لرفع موانع تبليغ الدين الإلهي.

وممّا جاء بشأن سبب نزول آية "لا إكراه.." أن رجلين من أهل المدينة دانا بالمسيحية على أثر الاختلاط مع تجار مسيحيين، فأخبر والدهما ـ أبو الحصين ـ النبيﷺ بذلك (وكان يريد أن يردهما إلى دين الإسلام بالقوة). فنزلت تلك الآية، ومنعته من القيام بهذا العمل[30]، وقيل إنها نزلت في رجل من الأنصار كان يريد أن يجبر عبده على أن يُسلم[31].

---

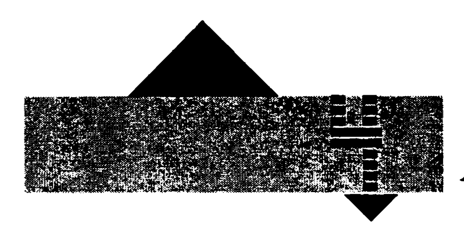
27. نهج البلاغة، الحكمة 244.
28. البقرة: 256.
29. الكهف: 29.
30. مجمع البيان، ج1 و2، ص363.
31. المصدر السابق.

وفي سياق بيانه أنّ الإيمان لا يمكن أن يُفرض على الإنسان، لأن الإنسان ينبغي أن يقبله بعقله وفكره، ومن ثم أن يميل إليه بقلبه، يشير الأستاذ الشهيد مطهري (قده) إلى أن أصول الدين في الإسلام يجب أن يُعتقد بها عن طريق البرهان، ولا يجيز الإسلام التقليد فيها فكيف بالإكراه! ثم يذكر أن الحرب والجهاد هما فقط لأجل رفع الموانع من أمام التوحيد. يقول (قده):

"لو فرضت مصلحة الإنسانية والتوحيد، نستطيع نحن أن نقاتل قوماً مشركين، لا لأجل أن نفرض عليهم التوحيد والإيمان، إذ أن التوحيد والإيمان لا يقبلان الإكراه. نستطيع أن نقاتل المشركين لأجل أن نقتلع جذر الفساد. فقلع جذور مبدأ عقيدة الشرك بالقوة أمرٌ، وفرض عقيدة التوحيد أمرٌ آخر"[32].

طبعاً، من اللازم أن نشير إلى أن الحديث عن حرية المعتقد إنما يصح إذا كان بحثنا يدور عمن يحملون معتقداً حقيقياً، ويقبلون أصل التوحيد الذي يعد أول أصول الأديان ومحورها، كما هو حال أهل الكتاب الذي لم يُجبَروا في الحروب الإسلامية أبداً على اعتناق الإسلام عن طريق القوة، بل خُيّروا بين الإسلام وبين دفع الجزية. وأمّا في الموارد التي لا مجال فيها للحديث عن وجود معتقد من الأساس، بل الخرافة هي الحاكمة على العقول ـ كما هو الحال مع أفكار المشركين ـ فلا معنى للحديث عن حرية المعتقد. ومثل هؤلاء الأفراد إمّا أن يتّبعوا الدين الحق، أو يمحى وجودهم لأنه يمنع من انتشار الحق والحقيقة.

32. كتاب الجهاد، ص49.



منزلة الجهاد في الإسلام

من المناسب قبل الورود إلى البحث الأصلي، أن نشير إلى أن الجهاد كان يتمتع في جميع الأديان الإلهية بمكانة خاصة. فعلى الرغم مما يتصوره بعض الأفراد من أن الجهاد منحصر بالدين الإسلامي، ينبغي أن نعلم بأنّ جهاد الظلَمة والطواغيت كان على رأس أهداف كل الأنبياء. ولأجل توضيح هذه النقطة سوف ندخل في بحث مختصر حول ذلك، ومن ثمّ نعود لبيان أهمية الجهاد وفضيلته في دين الإسلام المبين.

يكشف لنا التحقيق في الآيات والروايات وحتى في الكتب المعرّفة للأديان السابقة أن سائر الأنبياء قد قاموا بمواجهة الظلمة كلٌّ في زمانه، وقد أدت هذه المواجهات إلى وقوع الحروب وسفك الدماء.

وعلى سبيل المثال، يوجد في كتاب التوراة الحالي قصص عن جهاد الأنبياء الماضين مضافاً إلى إرشادات وتعاليم حول كيفية الجهاد ومعاملة الأسرى وامتلاك الغنائم[33]. وقد صرّح القرآن الكريم بدوره عن القتال العسكري للأنبياء، حيث يقول تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[34].

ووردت الإشارة أيضاً في آيات أخرى إلى جهاد بعض الأنبياء، من قبيل ما ذُكر بشأن الأمر لموسى عليه السلام وأتباعه بالحرب والجهاد لأجل الدخول إلى الأرض المقدسة (وهي بيت المقدس أو كل بلاد الشام)[35].

---

33. التوراة، سفر التثنية، الفصل العشرون.
34. آل عمران: 146.
35. راجع: المائدة: 21.

وفي آية يصور لنا القرآن دور داوود عليه السلام كجندي مضحّي في الحرب ضد جيش جالوت الظالم، وكيفَ أنّ هذا النبي بإقدامه على الجهاد وقتله لجالوت قد عمل بتكليفه، وكيف آتاه الله أيضاً الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء بعد ذلك[36]. ويشير تعالى كذلك في سورة النمل إلى التهديد العسكري الذي وجهه سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، والذي هدد المشركين فيها بالحرب إن هم لم يقبلوا دعوته الإلهية[37].

وقد جاء في الروايات أن إبراهيمعليه السلام ذهب إلى حرب الروم بهدف إنقاذ لوطعليه السلام من أيديهم، وأنه كان أول شخص قام للجهاد في سبيل الله:

"إن أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيثُ أسرتِ الروم لوطاً فنَفرَ إبراهيم عليه السلام واستنقذه من أيديهم"[38].

أما بشأن الأنبياء الذين لم يتوجهوا إلى الحرب، فينبغي أن نقول بأننا ـ أولاً ـ لا نملكُ معلومات كاملة ودقيقة عن تاريخهم، حيث لم تُذكر تفاصيل حياتهم ودعوتهم لا في القرآن، ولا في أي كتاب آخر. وثانياً، أنّ أكثرهم كنوحٍ وهودٍ وصالحٍ عليهم السلام عاشوا وضعاً مشابهاً لوضع النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قبل الهجرة، إذ ليسَ فقط لم يكن لديهم عدد كافٍ من الأصحاب لإقامة الحكومة، وتشكيلها، بل كان أعداؤهم يحيطون بهم من كلّ جانب أيضاً، ولم يكن أمامهم من فرصة للحرب والقتال مطلقاً. وقد كان حال عيسى عليه السلام بين الناس على هذا النحو في أيامه، وأما انتشار دعوته وقبول الناس لدينه فقد تزامن مع ظهور الإسلام عملياً[39].

---

36. راجع: البقرة: 251.
37. راجع: النمل: 37.
38. بحار الأنوار، ج12، ص15، دار الكتاب الإسلامية.
39. راجع الميزان، ج2، ص68.

أهمية الجهاد وفضيلته

عندما نتفحص آيات القرآن الكريم نجد أنه قلّما نزلت آيات بشأن فرع من فروع الدين الإسلامي كما هو الحال بشأن الجهاد. فقد نزلَ البعضُ منها بلسان صريح مستعملاً مفردات الجهاد والقتال، في حين نزل البعض الآخر بلسان غير مباشر وبقصد تفصيل المسائل الجانبية المتعلقة به.

ولأجل أن يبيّن القرآن المجيد أهمية الجهاد، عمد إلى مقارنته بخدمة الحجاج وعمارة المسجد الحرام، ثم صرّح بأفضلية الجهاد على ذلك[40]، وكل الآيات التي تحدثت عن علو منزلة المجاهدين في سبيل الله، تحكي في الوقت نفسه عن أهمية الجهاد وفضيلته. ويَعدُّ الله نفسه مشتري أرواح وأموال المؤمنين الذي يجاهدون[41]، كما أشار إلى أنهم أحباؤه[42]، وقد وعدهم بأجر عظيم[43]، واعتبرهم الفائزين في هذا العالم وبشّرهم برحمة منه ورضوان، وجنات تجري من تحتها الأنهار، خصّهم بها دون العالمين[44]...

يكفي لمعرفة أهمية الجهاد، الإلتفات إلى أنّ القرآن قد دعا إليه بسبُلٍ مختلفة من قبيل الحديث عن أجره، واستخدام لسان الحث والتشجيع، وتحريك العواطف الإنسانية، واستخدام لسان الأمر، واللجوء إلى التوبيخ واللوم والتهديد، وبيان عقاب تاركه[45]. إنّ قسمَ القرآن بأنفاس خيول المجاهدين العادِيَةً، وقدحِ النار من تحت حوافرها، والغبار المتصاعد من حركتها السريعة [46]، كل ذلك شاهد على عظمة الجهاد.

40. راجع سورة التوبة: 20-19.
41. المصدر السابق، الآية 111.
42. راجع سورة الصف: 4.
43. راجع سورة النساء: 74.
44. راجع سورة التوبة: 21-20.
45. راجع بالترتيب، النساء:74، البقرة:216، التوبة:13، البقرة:244، التوبة:1.
46. العاديات: -41.

وقد نُقلت بهذا الشأن روايات كثيرة أيضاً، منها أنّ أبا ذرّ الغفاري سأل النبي الأكرمﷺ: أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ؟ فقال: "**إيمان بالله، وجهادٌ في سبيله**". قال: قلتُ: فأي الجهاد أفضل؟ قال: "**من عقرَ جواده وأُهريقَ دمُه في سبيل الله**"[47]، وفي حديث آخر، نُقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "**الخير كله في السيف، وتحت ظلّ السيف...**"[48].

وبعث النبيﷺ بسرية كان فيها ابن رواحة، تحرك الجيش مع الفجر نحو المنطقة المحددة، لكن ابن رواحة تخلّف عنه ليصلي وراء النبي الأكرمﷺ. بعد الصلاة، رآه النبيﷺ فقال: ألم تكن في ذلك الجيش؟ فأجاب: بلى، ولكنّي أحببتُ أن أصلّي خلفك هذه الصلاة ثم ألحقَ بهم. فقال رسول اللهﷺ:

"**والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركتَ فضلَ غدوتهم**"[49].

وفي خطبة خطبها في أواخر عمره، يقول أمير المؤمنينعليه السلام:

"**إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فتحهُ الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرعُ الله الحصينةُ وجُنّتهُ الوثيقة**"[50].

"**وعن أبي جعفرعليه السلام قال: قال: "ألا أُخبرك بالإسلام وفرعه وذروته وسنامه؟ قال: قلتُ: بلى جعلت فداك، قال: أمّا أصله فالصلاة، وفرعه فالزكاة، وذروته وسنامه الجهاد...**"[51]

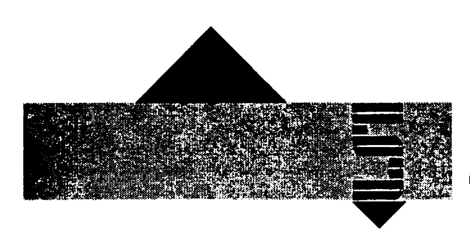
وبالإضافة إلى ما ذُكر منَ الآيات والروايات، فإن التدقيق في دور الجهاد في الإسلام ومنزلته بالنسبة لسائر الواجبات الدينية، يطلعنا أيضاً على أهميته

47. بحار الأنوار، ج97، ص11.
48. المصدر السابق، ص9.
49. سنن الترمذي، ج2، ص20، دار الاتحاد العربي للطباعة.
50. نهج البلاغة، الخطبة 27.
51. بحار الأنوار، ج66، ص392.

وعظمته. فالجهاد الدفاعي سبب في توفير الأمن، والذي في ظله فقط يمكن إقامة سائر الواجبات والحدود الإلهية.

وفي الجهاد الابتدائي أيضاً رفع للموانع من أمام تبليغ الدين الإلهي، وهو ما يسبب في ميل عدد من المجتمعات البشرية نحو الدين الحق، ومن الواضح أنه مع تحقق هذا الميل وازدياد عدد المسلمين يصبح بالإمكان إرساء قواعد حكومة العدل وتنفيذ الأحكام الإسلامية بشكل واسع.

باختصار، إن تبليغ أصول الدين والعمل بفروعه، مرهون في كثيرٍ من الموارد بأداء هذه الفريضة الإلهية الكبرى، وهو ما يدل بدوره على عظمتها.



شروط وجوب الجهاد

بعد أن تناولنا بالبحث مسائل تتعلق بالجهاد الابتدائي والدفاعي، وأشرنا إلى فلسفة كل منهما، سوف نتعرض في هذا الفصل لشروط كلا هذين القسمين من أقسام الجهاد.

وفي معرض الحديث عن شروط وجوب الجهاد الابتدائي، سيتشعب الكلام إلى جهتين: الأولى، بحثُ شروط تحقق وجوب أصل هذا الجهاد. والثانية، بحث تعلق وجود هذا الجهاد بآحاد المجاهدين.

شروط وجوب أصل الجهاد الابتدائي:

المراد من شرائط الوجوب هو تلك الشروط التي يصير الجهاد الابتدائي واجباً على الأمة الإسلامية في حال اجتماعها وتوفرها، والتي بفقدانها أو فقدان بعضها ينتفي هذا الوجوب. هذه الشروط هي:

١. إذنُ الإمام العادل:

يتفق معظم فقهاء الشيعة أنّ إذن الإمام العادل هو من شروط وجوب الجهاد الابتدائي ومشروعيته، لكنّ وقَع الاختلاف بينهم بشأن مصداق هذا الإمام العادل الذي أشارت إليه الروايات. فالبعض يحصرون الإمام العادل بالإمام المعصوم فقط، وعليه فلا يرون الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة مشروعاً، والبعض الآخر يرى أن وصف الإمام العاجل لا يختص بالإمام المعصوم ـ وإن كان هو المصداق الأكمل له ـ ولذا يمكن في عصر الغيبة النهوض بالجهاد الابتدائي بإذن الحاكم وولي أمر المسلمين، مع أنه ليس معصوماً.

٢. التمكن والقدرة:

يعدّ وجود التمكن والقدرة لدى المسلمين، بمعنى امتلاكهم للقوات والسلاح والعتاد والإمكانات الكافية لتحقيق أهداف الجهاد الابتدائي، يعدُّ من شروط وجوب هذا الجهاد. ومع أنّ كثيراً من الفقهاء لم يشيروا إلى هذا الشرط صراحة، إلاّ أنه من المحتمل أن يكون معنى التمكن والقدرة داخلاً في مفهوم "بسط اليد" بالمعنى الأعم، عند من اشترط ذلك من الفقهاء لتحقق وجوب نهوض الإمام العادل بالجهاد الابتدائي. وأمّا مع وجود الاحتمال في أن يكون الإمام العادل على مسند السلطة والحكومة، لكنه في الوقت نفسه يكون فاقداً للقوات والتجهيزات والإمكانات الكافية للقيام بالجهاد الابتدائي، فمن الممكن حينئذٍ التمييز والتفريق بين معنى بسط اليد ومعنى التمكن والقدرة.

٣. الدعوة إلى الإسلام:

يتفق فقهاء الإسلام في الجملة على أن من شروط وجوب الجهاد الابتدائي، بيان محاسن الإسلام وخصوصياته العامة للكفّار، سواء المشركين منهم أم أهل الكتاب، ودعوتهم إلى دين الله. وعليه، فالنهوض بالحرب والجهاد الابتدائي حرام وغير مشروع بدون الدعوة إلى الإسلام.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى أن الدعوة إلى الإسلام إنما تكون واجبة للكفار الذين لم تصل إليهم رسالة الدين ودعوته، أمّا أولئك الكفار الذين قد سمعوا نداء الدين فوجوب دعوتهم ساقط، ويجوز البدء بجهادهم دون ذلك، ولكن لمّا كان الإسلام قد وضع سعادة البشر نصب عينيه وعلى رأس برنامجه، فقد استحسن دعوة مثل هؤلاء الكفار إلى الدين الحق من جديد، واعتبر ذلك عملاً مستحباً[52].

52. راجع جواهر الكلام، ج21، ص54-53.

٤. طلب الجزية من أهل الكتاب وامتناعهم:

اتفق كلُّ فقهاء الإسلام أنّ من شروط وجوب الجهاد الابتدائي ضد أهل الكتاب، أي أتباع المسيحية واليهودية والزردشتية، وبالإضافة إلى دعوتهم إلى الإسلام وامتناعهم عن قبوله، هو دعوتهم لدفع الجزية وامتناعهم عن ذلك[53]. ويستفادُ هذا الشرط من الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة.

ومما ينبغي لفت النظر إليه، هو أنّه بالإضافة إلى لزوم اجتماع الشروط المذكورة آنفاً، فللجهاد الابتدائي قيود بلحاظ الزمان والمكان أيضاً. ففقهاء الشيعة مجمعون على أن البدء بالجهاد الابتدائي في الأشهر الحُرُم ـ ذي القعدة وذي الحجّة ومحرم ورجب ـ ضدّ كفار يعتقدون بحرمة هذه الشهور، حرام[54]. كما لا يجوز أن يقع القتال من الناحية المكانية في داخل حرم مكة الشريف.

شروط وجوب الجهاد الابتدائي على الأفراد

المراد من هذه الشروط هي تلك التي يجب على أثر تحققها قيام الفرد المسلم للمشاركة في الجهاد الابتدائي. ومن نافل القول أن هذا الوجوب فرع وجوب أصل الجهاد.

١ و٢. البلوغ والعقل

يعدُّ شرطا البلوغ والعقل، وبإجماع كل الفقهاء، من الشروط العامة لأداء التكاليف الشرعية، ومنها الجهاد. وعليه، لا يعد الجهاد واجباً على المجنون وغير البالغ.

53. المصدر السابق: ص52-51.
54. راجع جواهر الكلام، ج21، ص32.

٣. الحرية

اتفق فقهاء الشيعة والسنّة على أنّ الحرية شرط من شروط الوجوب الابتدائي ولذا لا جهاد واجب على العبيد.

٤. الذكورة

بإجماع كل الفقهاء، يعد الجهاد الابتدائي واجباً على الرجال فقط ولا وجوب على النساء. ودليل على ذلك إضافة إلى الإجماع، هو روايات نقلت من طرق أهل الشيعة والسنّة. وللمثال، نقل الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

"كتب الله الجهاد على الرجال والنساء فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته"[55]

٥. السلامة الجسمية

من شروط وجوب الجهاد الابتدائي، السلامة الجسمانية للمسلم. ولهذا، لا يعد هذا الجهاد واجباً على كل الأشخاص الذين يعانون من نقص أو مرض جسمي، لما للمشاركة في الحرب من صعوبة ومشقة عليهم. ويمكن تقسيم هؤلاء على عدة فئات:

أ. الأفراد المبتلون بأمراض صعبة وشديدة.

ب. الأفراد الفاقدون لعضو حساس من البدن، كما في الإنسان الأعمى.

ج. الأفراد الذين يمتلكون عضواً ناقصاً في البدن، كما في الإنسان الأعرج.

د. الأفراد الذين يمتلكون بنية جسمية ضعيفة، كما في الإنسان المُسنّ.

---

55. وسائل الشيعة، ج11، ص15.

ودليل اشتراط هذا الشرط، هو الآية الحادية والتسعون من سورة التوبة، والآية السابعة عشرة من سورة الفتح، والتي استثنت هذه الفئات من الناس.

٦. الاستطاعة المالية

من الشروط الأخرى لوجوب الجهاد الابتدائي، الاستطاعة والقدرة المالية. وعليه، يكون هذا الجهاد واجباً عندما يملكُ الفرد قدرة دفع نفقة عائلته خلال مدة غيابه في الحرب، وكذلك قدرة شراء السلاح وسائر الإمكانات اللازمة للحرب[56]، وفي غير هذه الصورة لا يعد الجهاد واجباً عليه.

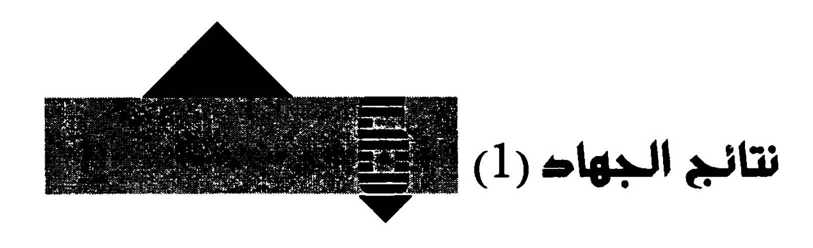
ويستنتج هذا الشرط صراحة من الآيات الحادية والثانية والتسعين من سورة التوبة. طبعاً، لو قام آخرون أو الحكومة الإسلامية بدفع نفقة الفرد وعائلته، وتهيئة السلاح والعتاد، يكون هذا الشرط قد تحقق وتصير المشاركة في الجهاد واجبة.

شروط الجهاد الدفاعي:

نظراً لأن الدولة الإسلامية تتعرض لهجوم العدو، والمسلمون مكلّفون بالدفاع عنها، لا يُشترط في الجهاد الدفاعي أي من الشروط التي ذُكرت لتحقق وجوب الجهاد الابتدائي.

وكذلك هو الحال بالنسبة للأشخاص المشاركين في هذا الجهاد، إذ أن الدفاع واجب على الجميع، ويجب على كل المكلفين القيام بذلك بأي وسيلة ممكنة، ولا يشترط فيه أي شرط[57]. لكن بما أن الجهاد الدفاعي واجب كفائي، فإن أقدم البعض على الدفاع، وأمنّوا حاجة الجبهة نيابة عن الآخرين، يرتفع الوجوب عن الباقين.

56. راجع جواهر الكلام، ج21، ص19.
57. راجع "تحرير الوسيلة"، ج1، ص445.



نتائج الجهاد (1)

كما هو الحال في سائر العبادات، لتأدية الجهاد بنية خالصة وفي سبيل الله آثار كثيرة، سيظهر البعض منها في هذا العالم والبعض الآخر في يوم القيامة. ونحن سنقوم ببيان هذه الآثار بالاستفادة من الآيات والروايات.

النتائج الدنيوية:

١. العزة والرفعة

ترتبط حياة المجتمع بحياة أفراده. فالمجتمع الذي يتواجد فيه أشخاص مجاهدون بفعالية، يبقى في حالة دائمة من النشاط والتقدم السريع، ويحافظ على دوامه واستمراريته، لكن المجتمع الذي يحوي أفراداً ضعافاً وخاملين، وبلا تأثير، هو مجتمع ميّت. من هنا، يُعدُّ حفظ حياة المجتمع الإسلامي أفضل آثار الجهاد، حيث يكونُ الجميع فيه مستعدين للدفاع عن الدين الإلهي وعن المظلومين، وللهجوم على العدو في الفرصة المناسبة لإبطال كيده وإضعافه أو القضاء عليه. كما لا يمتلك أي عدو قدرة التسلط والاعتداء على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم وحقوقهم.

مثل هكذا مجتمع يقضي حياته بعزة ورفعة، وطالما أنه يحافظ على هذه الروحية فلن يُبتلى بالذلّ أبداً. وقد عرّف القرآن المجيد الجهاد بعنوانه منشأ صيانة المجتمعات الإيمانية ضد أذى الكفار والمشركين، حيث يقول تعالى بعد توجيه الأمر إلى الرسولﷺ بالحرب:

﴿...وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾[58].

58. النساء: 84.

إن تاريخ صدر الإسلام هو خير شاهد على هذا المدّعى. فإلى الحين الذي تمسك فيه المسلمون بالجهاد، وحافظوا على زمام المبادرة بالهجوم في أيديهم، كانوا يعيشون مكلّلين بالنصر والعزّة. ولكن في ذلك الوقت الذي تركوا فيه الجهاد وسعوا وراء الدنيا، وجلسوا على عرش الرئاسة، وانصرفوا إلى الملذات، فقدوا مكانتهم، وهجم عليهم أعداء الداخل والخارج، وأبادوا مجدهم وعظمتهم.

لقد شهدنا في العصر الأول توسّع نفوذ الحكومة الإسلامية، ووصول نداء التوحيد والعدل إلى أكثر بلاد تلك الأزمنة. غير أننا شهدنا بعد ذلك أفول الحكومة الإسلامية، وانفصال البلاد المفتوحة، بل وحتى عدد من المسلمين الجدد إلى أديانهم السابقة.

إن العزة والرفعة اللذان يحدثان على أثر الجهاد يمتدُّ أثرهما أحياناً إلى الأجيال اللاحقة، ولا يقتصران على الجيل الحاضر. وعلى هذا الصعيد، يقول النبي الأكرمﷺ: **"أغزوا تُورِّثوا أبناءكم مجداً"**[59].

٢. الحياة والحركة

يدفعُ حصول الحرب وما ينتج عنها من مشكلات الناسَ إلى التحرك، حيث تصير سبباً لاهتمام الجميع بالسُّبل الآيلة إلى صد العدو.

هذا الأمر، يمنعُ أكثر أفراد المجتمع عن الخوض في الأمور الجزئية وغير المفيدة، ويبدّل روحية حب الاسترخاء والرفاه إلى روحية السعي والجدّ وارتفاع المعنويات القتالية والجهود والقدرات العسكرية تعدُّ أيضاً من أفضل الآثار التي تنشأ على أثر تحرك القوى.

وفي سياق بيانه أنّ الحرب تخرج الناس من حالة الخمود وتجبرهم على التحرك، يقول الإمام الخميني (قده):

---

59. وسائل الشيعة، ج11، ص9، دار إحياء التراث العربي.

"تعد الحرب أمراً جيداً من بعض النواحي، وذلك أنها تبرز الشجاعة الموجودة في داخل الإنسان، وتؤدي إلى تحريكه وإخراجه من حالة الخمود.. إن قوى الإنسان تتجه دائماً نحو الخمود، وأولئك الذين يعتادون على الرخاء والرفاهية خصوصاً سيكون حالهم أسوأ، لكن عندما تقع حرب ما وتتجلى خلالها الملاح.. ولا يبقى إلاّ صوت المدافع، كلّ ذلك يُخرج الإنسان من حالة الخمود والضعف، فتظهر حقيقة الإنسان وتبرز فعاليته وطاقاته إلى العلن"[60].

٣. تقوية روح الاكتفاء الذاتي

تؤدي الحربُ إلى إيجاد صعوبات جمّة، وإلى وقوع المجاهدين تحت وطأة الحصار. نفسُ هذه الضغوط تدفع بالشعب إلى قطع يد الاعتماد على الأجانب، والى الاعتماد على النفس في المقابل.

ولقد أشار إمام الأمة (قده) إلى هذه المسألة طوال حربِ الثماني سنوات المفروضة على الجمهورية الإسلامية من قبلِ العراق، وأوضحَ أنّ الحربَ كانت سبباً للإعتماد على النفس:

"إنّ ما يستحق الذكر هو أنّ الجميع قد أغلقوا اليومَ كل شيء، في وجوهنا، وقد كان هذا الأمر بحدّ ذاته نعمة بالنسبة إلينا. فعندما أُغلقت جميع الأبواب وتفتحت (في المقابل) جميع الأذهان، تلاحظون أن نشاطنا وفعاليتنا قد بدءا يزدادان"[61].

عامل الاعتماد على النفس هذا والسعي لأجل رفع الاحتياجات بواسطته، يؤدي إلى نموّ الأدمغة ونضجها، ولهذا السبب قال إمام الأمة (قده):

"لقد كانت هذه الحرب، وهذا الحصار الاقتصادي وإخراج الخبراء

60. بلاغ، سخنان موضوعى امام خميني (ره)، ج3، ص272، سازمان تبليغات اسلامى.
61. آيين انقلاب اسلامى (مرآة الثورة الإسلامية)، ص453، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قده).

الأجانب هدية إلهية كنا غافلين عنها. واليوم، مع توجه الحكومة والجيش لحظر بضائع ناهبي العالم، وللسير في طريق الابتكار بكل جدٍّ ونشاط، فإنّ الأمل معقود على حصول البلد على الاكتفاء الذاتي، والنجاة من الفقر والتبعية للأعداء. لقد رأينا بأم العين كيف أن كثيراً من المصانع والوسائل المتطورة ـ كالطائرات وغيرها من الوسائل ـ والتي لم يكن يُتصور أن يتمكن المتخصصون الإيرانيون من تشغيلها في وقت كان الجميع قد مدّوا أيديهم إلى الغرب أو الشرق من أجل أن يدير متخصصوهم هذه المصانع والوسائل. رأينا كيف أنه وعلى أثر الحصار الاقتصادي والحرب المفروضة، قام شبابنا أنفسُهم بصنع قطع الغيار الضرورية وبقيمة أقل من المعروض، وسدّوا باب الحاجة، وأثبتوا أننا إن عزمنا فنحن قادرون (على القيام بكل شيء)"[62].

٤. فصل الحق عن الباطل

من الآثار الأخرى المهمة للجهاد، هو فصل خط النفاق عن المجتمع الإسلامي. ففي كل مجتمع يعيش المؤمنون الخُلّص جنباً إلى جنب مع ضعاف الإيمان والمنافقين من الناس، ومن الصعب جداً في زمن السلم والصلح تمييز هذه الفئات، إذ كثيراً ما يُظهر المنافقون وضعاف الإيمان أنفسهم بصورة المدافعين عن الحق أكثر من المؤمنين الحقيقيين. ولكن في الشدائد، بالخصوص في أوقات وقوع أحداث من قبيل الحرب والجهاد، تعرف معادن الرجال وتمتاز صفوف الحق عن الباطل، فيبقى المؤمنون الحقيقيون، الصابرون والأوفياء، في الساحة حتى النهاية، في الوقت الذي يُخلي الآخرون الميدان ويفرون.

ولقد أشار القرآن المجيد إلى هذه الحقيقة بشكل متكرر، وإلى أن الله لو شاء لنصر الحقّ من دون الاستفادة من الفئة المجاهدة، ولجعل دينه ينتشر في كلّ

62. المصدر السابق، ص454.

العالم، لكنه لم يختر هذه الطريق، بل أراد أن يمتاز الخُلّص عن غير الخُلّص في ساحة الحرب:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[63].

وفي آية أخرى، ولأجل توبيخ المنافقين، يخاطب تعالى نبيّه قائلاً:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[64].

لأن المنافقين لو لم يأخذوا الأذن بالخروج من ميدان الحرب، وبقوا بين المؤمنين، فسوف يعرفون بعد مدة قصيرة من الزمن، وتتضح حقيقتهم.

٥. الوحدة

إنّ الشعب الذي يكون مبتلى في أيام الصلح والهدوء بالمشاكل الداخلية، ومشغولاً بالاختلافات الجزئية، يتوحد على أثر اشتعال الحرب وظهور العدو، ويقوم في وجهه. إن الحرب تقود جميع الطاقات والقوى في اتجاه واحد، وتجعلها تنضوي تحت راية واحدة، وتوجِدُ روح التعاون فيما بينها، وتصير سبباً في بروز الإيثار والتسامح وعشرات الصفات الأخلاقية السامية.

٦. معرفة الصديق من العدو

إن معرفة الأصدقاء من الأعداء خارج حدود البلد لهي من الآثار الأخرى للحرب والجهاد، ذلك أنه ما لم تقع الحرب، فإن الكثير من الدول تتحدث عن أواصر الصداقة والعلاقات المتينة، لكن في زمن الحرب والمصاعب، يمتاز الأصدقاء الحقيقيون عن الأعداء، ويُظهرون أنفسهم للعيان.

٧. النصر

في بعض الموارد، يعد الانتصار الظاهري على العدو أحد أفضل آثار الجهاد،

63. محمد: 31

64. التوبة: 43.

لأنه دون بذل الجهد في ساحة الحرب، لا يتحقق الانتصار، والشعب الذي قد جلس منتظراً النصر دون تحمل العناء وتقديم الجهود، لن يقطف سوى الحسرة جرّاء ذلك.

القرآن المجيد، بعد تعداد الآثار المعنوية والأخروية للجهاد، يشير في سورة الصف المباركة إلى هذا الأثر الدنيوي، حيث يقول تعالى:

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[65].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المجاهدين في سبيل الله منتصرون وأعزاء حتماً، سواء عن طريق الانتصار الظاهري وهزيمة العدو، أم بنيل الشهادة والوصول إلى جوار رحمة الحق سبحانه، حيث قد أثنى القرآن الكريم على هاتين النتيجتين[66].

في ختام هذا الفصل، نترك القارئ العزيز ليتأمل في حديث إمام الأمة (قده) المليء حماسة، والذي عرض فيه للآثار الدنيوية لجهاد السنوات الثماني للشعب المسلم في إيران ضد اعتداء النظام البعثي في العراق، فقال:

"وقد كانت لنا كل يوم بركةٌ من الحرب استفدنا منها في جميع المجالات، وقد صدّرنا ثورتنا إلى العالم في الحرب، وأثبتنا مظلوميتنا وجور المعتدين في الحرب، وفي الحرب رفعنا أحد الأقنعة عن الوجوه الزائفة لناهبي العالم، وإننا في الحرب عرفنا أصدقاءنا وأعداءنا، وإننا في الحرب وصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن نقف على أقدامنا ونعتمد على أنفسنا. إننا في الحرب حطّمنا أبهة الشرق والغرب العظيمين، وإننا في الحرب رسّخنا جذور ثورتنا الإسلامية المثمرة، وإننا في الحرب زرعنا الشعور بالأخوة وحبّ الوطن في وجدان أفراد الشعب. إننا في الحرب أثبتنا لشعوب العالم ولشعوب المنطقة بالذات إمكانية الكفاح ضد جميع

65. الصف: 13.
66. التوبة: 52.

القوى العظمى، ولسنوات طويلة.

إنّ حربنا ساعدت على انتصار أفغانستان، وإن حربنا ستكون سبباً لانتصار فلسطين. إن حربنا كانت سبباً لأن يشعر حكام جميع الأنظمة الفاسدة بالذلّ مقابل الإسلام. إن حربنا سببّت يقظة باكستان والهند، وفي حربنا فقط تطورت صناعاتنا العسكرية كثيراً، والأهم من كل ذلك هو استمرار الروح الثورة الإسلامية في ظل الحرب"[67].

67. آيين إنقلاب إسلاح، ص452. هذا الكلام هو من بيان الإمام (قده) الشهير المعروف باسم بيان 15 رجب. وقد نقلنا الترجمة عن كتاب "بحثا عن نهج الإمام (2)" للسيد عباس نور الدين، طباعة ونشر مركز "باء للدراسات والنشر"، بيروت، 1997.



نتائج الجهاد (2)

الآثار المعنوية والأخروية:

١. الحياة المعنوية

كما نعلم، لمفهوم الحياة مراتب عديدة، تبدأ بالحياة النباتية لتنتقل بعدها إلى الحياة الحيوانية للإنسان وسائر الموجودات، ومن ثمَّ تُختم بالحياة الأخروية للإنسان. وتقع الحياة الدنيوية بالنسبة إلى الحياة الأخروية في درجة متدنية جداً إلى الحد الذي وصفها القرآن المجيد في آياته ـ قياساً إلى الحياة الأخروية ـ باللهو واللعب، مشيراً إلى أن الحياة المطلقة والحقيقية هي الحياة الآخرة. يقول تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[68].

ولم يكن الهدف من إرسال الأنبياء ونزول الكتب السماوية والشرائع الإلهية سوى العمل على جعل الحياة الدنيوية للإنسان حياة أخروية، ليستفيد من نعيمها ويتمتع ببركاتها. ومن جملة الآيات التي تدعو الإنسان إلى هذا الأمر المهم، الآية الرابعة والأربعون من سورة الأنفال، حيث يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾.

أما على الرغم من أن هذه الآية مطلقة، ويستفادُ منها أنّ إجابة الله والرسول في قبول كل المعتقدات السماوية والعمل بجميع التعاليم والأحكام يؤدي إلى حياة الإنسان وعيشه عيش الآخرة، إلاّ أن وجودها بين آيات الجهاد يجعلها ناظرة إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ المؤمنين يوصلون أنفسهم إلى نبع الحياة الخالدة في حال

68 . العنكبوت: 64.

استجابوا لدعوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله للجهاد في سبيل الله والتزموا بأحكامه. وهذه الاستجابة وحدها هي التي سترتقي بهم بعيداً عن هذه الحياة الدنيا، وتربطهم بالأحياء الحقيقيين. ولعل الحديث الذي نُقل عن الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن ناظر إلى هذه المعنى، حيث قال عليه السلام: "**المجاهدون تُفتّح لهم أبوابُ السماء**"[69].

فلفظ "أبواب السماء" يشير من ناحية إلى علو المنزلة والمقام الذي يحوزه المجاهدون، والى الحياة المعنوية الخالدة من ناحية أخرى.

٢. النجاة من العذاب الإلهي

عبّر القرآن المجيد عن الجهاد في سبيل الله بتعبير التجارة المنجية، حيث قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[70].

حول هذا الأمر، يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: "**لا يَجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخانٌ في جهنّم**"[71].

٣. غفران الذنوب

يعد شمول الوعد الإلهي بغفران الذنوب للمجاهدين، أحد آثار الجهاد في سبيل الله، حيث يفيض سبحانه عليهم هذه النعمة الكبرى. ويشير القرآن المجيد إلى هذه الحقيقة، في نفس سورة الصف، مباشرة بعد الآيات التي ذكرناها أعلاه، فيقول تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾[72].

69 . غرر الحكم، الآمدي، ج1، ص355.
70. الصف: 11-10.
71. مستدرك الوسائل، ج11، ص13، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
72. الصف: 12.

والسر وراء كرم كهذا، يكمن في أنّ المجاهد بمجرد وضعِ قدمه في ساحة الحرب، يكون قد أعرض عن الدنيا وزخارفها، ووضع نصب عينيه تهذيب النفس وإصلاحها، والوصول إلى المقامات المعنوية السامية، حيث تتكامل روحه في أجواء القتال والجبهة، ويقع مورداً لعناية الله تعالى ولطفه. بل لا تغفر ذنوبه الماضية فحسب، وإنما يتشكل في باطنه استعداد أعلى يمنعه عن ارتكاب معاصي أخرى.

٤. الدخول إلى الجنة

الجنة محل ضيافة الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين وأحبائه المقربين، أولئك الذين قدّموا إرادة الحبيب في الدنيا على أهوائهم، والتزموا طاعته وعملوا بأوامره. والمجاهدون هم الفئة الأبرز من بين عباد الله الصالحين هؤلاء، إذ أنهم قد ترفّعوا عن أرواحهم وأموالهم وكل وجودهم، وقدموها رخيصة للحبيب. فبهجرتهم وجهادهم نصروا دين الله، وبسيوفهم فتحوا أقفال الجنة، كما قال الرسول الأكرمﷺ: "**السيوف مفاتيح الجنة**"[73].

وفي هذا بيان لما وعد الله تعالى به المجاهدين في القرآن الكريم حيث قال: ﴿...وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[74].

٥. مجاورة الرب

يسعى المؤمنون عن طريق الجدّ والإلتزام الدائم بأداء العبادات وترك المعاصي نحو الوصول إلى محضر الحق عزّ وجل، وهم يتحملون لذلك مصاعب جمّة. إلا أن وجود العلائق يدعو الإنسان بشكل متواصل إلى عالم الدنيا المادي، ويمنعه من السير إلى الله سبحانه.

73 . مستدرك الوسائل، ج11، ص13، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
74. الصف: 12.

من بين الواجبات الإسلامية، يتمتع الجهاد بخاصية فريدة تمكّنه من قطع تعلقات الإنسان، نظراً للشدائد في الحرب ومواجهة العدو. فهو يجعل من المجاهد حقاً شخصاً يتوجه إلى مبدأ القدرة، ويتوكل على الله، ويدنيه من مقام القرب الإلهي.

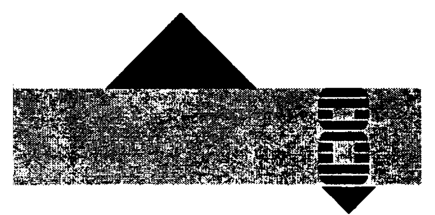
فبعد أن يأمر القرآن المجيد المؤمنين بابتغاء الوسيلة للتقرب من الله، يأتي على ذكر الجهاد مباشرة، وفي ذلك إشارة إلى عظمة الجهاد وأثره في تحقيق هذا القرب. يقول تعالى:

﴿...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ...﴾[75].

وقد أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى هذا الموضوع أيضاً، فقال: "**أيها الناسُ استعدوا لقتالِ عدوٍّ في جهادهِم القربةُ إلى الله عز وجل، ودركُ الوسيلة عنده**"[76].

75. المائدة: 35.

76. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج2، ص194، دار إحياء التراث العربي.



تبعات ترك الجهاد

بالإضافة إلى خسران الآثار الطيبة التي أشرنا إليها في الفصل السابق، يؤدي التهاون في أمر الجهاد والقعود عنه إلى عواقب ونتائج غير محمودة، وسوف نقوم في هذا الفصل بالتعرض لها وبحثها مفصلاً.

١. خراب دورُ عبادة الله

من التبعات المضرّة لترك الجهاد، زوال دور التوحيد ومَحالٌ عبادة الإنسان لله. فقد حذّر القرآن المجيد من أن الناس ما لم يقوموا بتكليفهم في الدفاع، فسوف تتهدم دور عبادة الحق، ليس فقط دور عبادة المسلمين بل جميع دور عبادة الأديان التوحيدية الأخرى.[77]

بالطبع، من الممكن أن يكون ذكر المساجد والمعابد في الآية قد ورد على سبيل المثال، وعليه فهي تتعداها لتشل المراكز الثقافية وتلك المسؤولة عن تقدم ونضج الأفراد والمجتمع.

من هنا نفهم أن المجال لتطور الناس وتكاملهم المعنوي والفكري لا يعود موجوداً في حال إهمال القيام بمسؤولية الدفاع، ويؤول مصير مثل هذه المراكز إلى الفناء والزوال.

٢. الذلّة والمهانة

من العواقب الملموسة بشدة للإعراض عن الجهاد، عاقبة الذلّة والمهانة، والتي تشمل كل أمّة تركت الجهاد في سبيل الله.

---

77. راجع سورة الحج، الآية 40.

ولذا، بعد أن يشجع المؤمنين على هذا الحكم الإلهي، نجدُ علياً عليه السلام يشير إلى تبعات التهاون عن القيام به، حيث يقول:

"..فمن تركَهُ رغبةً عنهُ ألبسَهُ اللّه ثوبَ الذلِّ وشمْلَةَ البلاءِ ودُيِّثَ بالصَّغارِ والقَماءَةِ"[78].

فمن مصائب أمير المؤمنين علي عليه السلام ومشكلاته طوال مدة حكمه، كانت عدم استعداد الناس لأجل الدفاع عن دين اللّه. وقد بيّن عليه السلام في العديد من الكلمات والخطب عدم رضاه عن أصحابه وموقفِهم من مسألة الجهاد، موجهاً انتقاداته لهم وموضحاً عواقب الضعف عن القيام بهذا الواجب في السياق.

في أحد هذه الموارد، يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ القعود عن الجهاد يؤدي إلى انتصار العدو وانفلات زمام إدارة المجتمع من يد الحكام:

"..فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغاراتُ ومُلكتْ عليكمُ الأوطان"[79].

ومن مظاهر هذه الذلّة التي تشملهم أنهم يعجزون على أثر ترك الجهاد عن أن يكونوا قوة يُنتقم بها من الباطل، أو يستفاد منها في تحقيق أي من أهداف الإسلام.

يقول عليه السلام: **"فما يدركُ بكم ثارٌ ولا يُبلغُ بكم مُرام"**[80].

في مثل هكذا مجتمع لا يتوقع حدوث التوفيق والتقدم، ويوماً بعد يوم يزداد الضعف وتقل الاستفادة من المعارف الإلهية، وسيبتلى هذا المجتمع بسقوط القيم والانحطاط. وتشهد تجارب التاريخ على أن المجتمع الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام يعيش فيه، والذي من ثمَّ تركَ الجهاد، قد عانى من عواقب وخيمة وظلم

78. نهج البلاغة، الخطبة 27.
79. نهج البلاغة، الخطبة 27.
80. المصدر السابق، الخطبة 39.

شديد، إلى الحد الذي تسلط عليه ـ وخلال مدة قصيرة ـ أشخاص كانوا يخنقون أقلّ صوت يرتفع طالباً الحق. وبوقاحة تامة، عمدوا إلى قتل الأئمة عليهم السلام الذي ارتفعوا شهداء في سبيل الله، وفقد كل إنسان قدرة الدفاع عن الحق. فهل تتصور ذلّة اكبر من هذه الذلة، يمكن لها أن تصيبَ مجتمعاً إسلامياً؟

وبالإضافة إلى التحذيرات المتكررة من القعود عن الجهاد، أشار القرآن الكريم في أحد المواطن، وبشكل صريح، إلى عاقبة الذلّة في الدنيا عند تركه، حيث ذكر أن بني إسرائيل قد عوقبوا بالتيه أربعين سنة على أثر عصيان هذا الأمر الإلهي:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[81].

وفي الحديث عن النبيﷺ بشأن الإعراض عن الجهاد والانشغال بالدنيا، قالﷺ:

"لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعِينَة وتركتم الجهادَ في سبيل الله، ليلزمنّكُم الله مذلّة في أعناقكم ثم لا تُنزعُ منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه أو تتوبوا إلى الله"[82].

وفي ضمن حديثه عن الآية الرابعة والعشرين من سورة التوبة ـ والتي تحذر الأشخاص الذي يُقصّرون عن التوجه إلى الجهاد ويحبون عشيرتهم وأموالهم أكثر من الله والجهاد في سبيله. يقول الإمام الخميني (قده):

"لقد نبّهت (هذه الآية) إلى أنّ الجهاد يقعُ على رأس جميع الأحكام، وأنّه حافظ جميع الأصول. وذكّرت أنه في حال القعود عن الجهاد فلتنتظروا عواقب

81 . المائدة: 26.

82 . مسند أحمد بن حنبل، ج2، ص84، دار صادر، بيروت.

ذلك من الذلّة والأسر وزوال القيم الإسلامية والإنسانية وكل ما كنتم تخشونه من القتل العام، من قتل الصغير والكبير وسبي الأهل والعشيرة. وبديهي أن كل هذه العواقب هي تبعات ترك الجهاد، خصوصاً الجهاد الدفاعي الذي نحن مبتلون به الآن.. "[83].

٣. نقصان الإيمان

دين الله هو عبارة عن مجموعة من الأحكام والقوانين الإلهية التي تزداد درجة إيمان كلّ فردٍ يعمل بها ويأخذها بقوة، كما أن تلك الدرجة تنقص في المقابل بقدر ما يترك العمل بهذه الأحكام ويميل بعيداً عنها.

بناء على هذا الأساس، كل من يترك الجهاد في سبيل الله، فدينه ناقص حتماً. وقد قال رسول الله ﷺ بهذا الشأن: "**من لم يَغزُ أو يُحدّث نفسهُ بغزوٍ مات على شُعبةٍ منَ النّفاق**"[84].

٤. الحرمان من التكامل المعنوي

يعد الأشخاص الذين يمتنعون عن أداء هذه الفريضة الإلهية الكبرى، أشخاصاً قد فقدوا الفهم الصحيح، وبتعبير أمير المؤمنين عليه السلام، قد ابتُلوا بالضلال: "**وضُرب على قلبهِ بالأَسْداد**"[85].

ويكتب الشهيد مطهري (قده) كلاماً بديعاً في شرح هذا الحديث، فيقول:

"إنها لنكتة فريدة أن يعتبر عليّ عليه السلام بصيرة القلب ونورانيته موقوفة على هذا الأمر (الجهاد). لقد ذُكر في منطق الإسلام صراحة أن البصيرة وليدة العمل، لكن لم يشر في أي مكان وبمثل هذه الصراحة إلى أن عملاً اجتماعياً كالجهاد

83. صحيفة النور، ج20، ص110.
84. السنن الكبرى، البيهقي، ج9، ص48، دار المعرفة، بيروت.
85. نهج البلاغة، الخطبة 27.

هو ركن من أركان التكامل المعنوي والسلوك إلى الله، بحيث أن تركه يوجب ظهور الحُجب على القلب"[86].

٥. الميل إلى الباطل

إنّ الأفراد الذين لا يهبّون لنصرة الحق، ويحترفون السكون والحيادية، هم أشخاص قد ابتعدوا عن الحق بلا أدنى شك، ومالوا إلى الباطل. وعلى أثر ذلك، لم يعد هؤلاء يملتكون لياقة رفع لواء الإسلام، والدين القويم، وضاعت من أيديهم حكومة الحق التي أودعت أمانة عندهم، تماماً كما قال عليّ بهذا الشأن: "**وأُديل الحق منه بتضييع الجهاد**"[87].

٦. الحرمان من العدل والإنصاف

يحرم تاركو الجهاد من عدل الآخرين وإنصافهم، ويتعرضون للظلم بسبب الإعراض عن هذا الواجب الإلهي، كما قال عليّ: "**ومنع النّصفَ**".

وفي سياق شرحه لهذه الجملة من كلام الإمام يقول الشهيد مطهري (قده): "**(إنّ المراد من كلامه هو أنّه) ما دامت أمة ما، أمةً مجاهدة، فالآخرون يَحسبون لها حساباً، وإلاّ فلا يبقون لها الآخرون أي كيان، ويتشددون في حرمانها من أي نوع من أنواع الإنصاف**"[88].

ما ينتج عن ذلك هو أن حقوق هذه الأمة تُداس في المحافل السياسية والاقتصادية والعسكرية والدولية، ولا يعيرون طلباتها وطروحاتها أي أهمية.

٧. عذاب الآخرة

إنّ العذابَ الأخروي لتاركي الجهاد هو نفس ذلك البعد عن رحمة الله

86. قيام وانقلاب مهدي ثورة المهدي، ص92، انتشارات صدرا.
87. نهج البلاغة، الخطبة 27، انتشارات صدرا.
88 . قيام وانقلاب مهدي، ص93-92.

والسقوط في نار جنهم. ولهذا، نجد أن القرآن المجيد يهدد في سورة التوبة أولئك المنافقين الذين امتنعوا عن الذهاب إلى الجبهة بحجة حرارة الطقس واعتبروا أنفسهم معذورين أمام الله، نجده يهددهم بعذاب جهنم، فيقول:

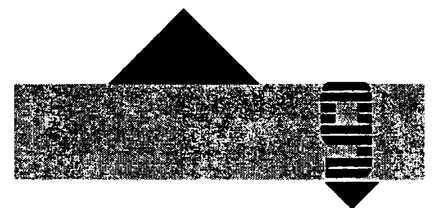
﴿..وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[89].

وفي آية أخرى يقول: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[90].

وبالطبع، إن لفظ هذه الآية مطلق، لذا يمكنُ أن يكون شاملاً للعذابات الدنيوية أيضاً، خصوصاً أن الله قد هددهم في سياق الآية بالهلاك الدنيوي وباستبدالهم بقوم غيرهم لا يتركون الجهاد.

89 . التوبة: 82-81.

90 . التوبة: 39.



أبعاد الجهاد

إن جميع ما ذكر في الفصول السابقة كان يدور حول الجهاد بمعناه الاصطلاحي، أي حول الحرب المسلحة التي تمثل بعداً واحداً من أبعاد الجهاد، وهو البعد المادي لمقابلة العدو؛ إلاّ أنّ أعداء الإسلام لا يأتون لحربه دائماً عن طريق الأسلحة ومن على جبهةٍ واحدة، بل يختارون طرقاً مختلفة لتحقيق أهدافهم المشؤومة، حيث تعدُّ مواجهتهم على هذه الجبهات "جهاد في سبيل الله" أيضاً.

إنّ الساحات السياسية والأمنية والصناعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية.. من الممكن أن تُبدل إلى ساحة حرب للحق ضد الباطل، وعلى المؤمنين أن يذهبوا لحرب العدو في هذه الساحات بكامل قواهم، وأن يجاهدوا لأجل إعلاء كلمة الحق. ومن الواضح أن مجاهدي هذه الميادين هم العلماء والكتاب والقوى الإعلامية والفنانون.. كما أن أسلحتها هي العلم والقلم والبيان والفن.. فيما يلي، نوضح بعضاً من أبعاد الجهاد المشار إليها.

الجهاد الثقافي:

لقد أمر الله تعالى نفسه بالمواجهة الثقافية للعدو، وقال لنبيه ﷺ:

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[91].

ولما كانت هذه الآية قد نزلت في مكة، فهي لا تحمل إشارة إلى الجهاد في ميدان الحرب، ذلك أن حكم الجهاد لم يكن قد شُرّع بعد في مرحلة وجود النبي ﷺ في مكة. فطوال ثلاث عشرة سنة كان النبي ﷺ يسكن فيها بمكة، عكف من خلال

91. الفرقان: 52.

تلاوة القرآن على المشركين، والدعوة والتبليغ، وتحمّل الأذى على هذا الجهاد الثقافي العظيم.

ومما يستفيده العلامة الطبرسي (رض) من قيد "جهاداً كبيراً" في الآية، أن الجهاد الثقافي والرد على شبهات الكفار وأعداء الدين هو أثمن وأعظم أنواع الجهاد عند الله تعالى[92].

واليوم تعد مواجهة الغزو الثقافي الغربي للإسلام والمسلمين من المصاديق البارزة لجهاد أعداء دين الله أيضاً، وذلك أنهم يسعون بكل وسيلة ممكنة وعن طريق خداع الشباب إلى جرّهم نحو الفساد وإهمال القيم الدينية والإنسانية. وهذا بدوره يفرض ضرورة انتباه المراكز التي تعنى بالشأن الثقافي إلى أهمية التواجد في جميع الساحات بكامل الأهبة والاستعداد، للقيام بنشر المعارف الإسلامية الأصيلة إضافة إلى ما يؤدونه من مواجهة الثقافة المنحرفة وتحطيمها، وهو ما أشار إليه الإمام الراحل (قده) في وصيته السياسية الإلهية وحث عليه، داعياً الحوزة العلمية والجامعة وأهل القلم إلى أن يعوا رسالتهم العظيمة ويعملوا بها.

الجهاد السياسي والاقتصادي:

ينبغي التوجه أيضاً نحو قتال العدو وسدّ منافذ تسلطه وسيطرته على المجتمع الإسلامي، في المجالين السياسي والاقتصادي، لأن القرآن قد صرّح لأول مرة وبمنتهى القاطعية ـ بأن الله سيقطع جميع الطرق والسبل أمام تسلط الكافرين على المؤمنين ـ ولهذا السبب، يجب علينا أن نجدّ في السعي من أجل تنفيذ هذا القانون الإلهي، حيث يقول تعالى:

﴿...وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[93].

من هنا، تقع على المسلمين مسؤولية الانتباه لتحركات العدو على مثل

92. راجع مجمع البيان، ج7، ص175.
93. النساء: 141.

هذه الجبهات بمنتهى الوعي واليقظة، وأن لا يسمحوا له عن طريق تقدمه التكنولوجي والاقتصادي أو عن طريق سوء الاستفادة من الروابط التجارية، والإمكانات السياسية والمؤسسات الدولية، أن يمتلك زمام المبادرة للإضرار بالمجتمع الإسلامي، وبالتالي أن يستعمره ويستغله، وينفث سمومه العقائدية والفكرية في داخله.

ولذا نجد الإمام الخميني من موقع مرجعيته الدينية، وببصيرته الثاقبة، يشير إلى سُبل تسلط العدو على المجتمع الإسلامي، ويدعو إلى يقظة الأمة الإسلامية ومشاركتها في الجهاد، قبل أن يتمكن العدوّ من السيطرة، وهو لهذا الغرض قد أفتى قائلاً:

"لو خيف على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي المُنْجَرّ إلى أسرهم السياسي والاقتصادي، ووهنِ الإسلام والمسلمين وضعفهم، يجب الدفاع بالوسائل المشابهة والمقاومات المنفية، كترك شراء أمتعتهم، وترك استعمالها وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً"[94].

لقد اعتبر إمام الأمة مثل هذه الروابط السياسية وعقد الاتفاقات المخالفة لمصلحة الإسلام والمسلمين التي تؤدي إلى نفوذ الأجانب وتسلطهم، اعتبرها عملاً حراماً.

كما ويشير إلى أنه إن أذعن بعض قادة الدول الإسلامية ووقّعوا مثل هذه الاتفاقات، فقد خانوا ويُعدُّون معزولين من مقامهم.

وفي المقابل، يجب شرعاً على المسلمين في مثل هذه الأحوال أن يواجهوا إلى أن تنقطع سيطرة الكفار عن بلاد المسلمين، وبعبارة أخرى، إلى أن يصير النصر حليف المؤمنين على هذه الصُّعُد أيضاً.[95]

94 . تحرير الوسيلة، ج1، ص445. طبعة مؤسسة النشر الإسلامي، 1420هـ.ق، قم، إيران.

95. بالاستفادة من تحرير الوسيلة.

الجهاد المالي:

اعتبر القرآن المجيد أن الجهاد قسمان: جهاد بالمال وجهاد بالروح، وبالإضافة إلى أنه أوصى بالجهاد مطلقاً ـ وهو ما يشمل هذين القسمين معاً ـ نجدهُ قد ذكر كلاًّ من هذين القسمين في إحدى عشرة آية. وكمثال، يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[96].

كذلك، جاء ذكرُ الجهاد بالمال والجهاد بالروح معاً في الروايات. وأيضاً على سبيل المثال، قال رسول الله ﷺ:

"إنّ الله عزّ وجلّ ليُدخل في السهم الواحد الثلاثةَ الجنّةَ: عامل الخشبة والمقوي به والرامي به في سبيل الله"[97].

وفي بعض الروايات، اعتبر المجاهدون بأموالهم كمن يُجاهدون بأرواحهم، حيث جاء:

"من جهّز غازياً فقد غزا.."[98].

ولقد كان المؤمنون في صدر الإسلام يُقدمون على الجهاد بالمال بالرغم من صعوبته، حيث كان كلٌّ شخص يُنفق في سبيل الله بما يتناسب مع وضعه المالي، ولو مقدار شق تمرة[99]. وفي بعض الأحيان، كان النبي الأكرم ﷺ يطلب من الأشخاص الذين كانوا يفتقدون جرأة الخروج إلى القتال، أن يؤدوا تكليفهم بالجهاد المالي، مع أن للجهاد المسلّح منزلة خاصة في نفسه:

"..من جَبُنَ من الجهاد فليجهّز بالمال رجلاً يجاهد في سبيل الله، والمجاهدُ

96 . التوبة: 20.

97. الكافي، ج5، ص50، دار الصعب ودار التعارف.

98 . سنن الترمذي، ج3، ص92، مطبعة "مَجاله".

99. راجع مجمع البيان، ج5، ص54.

في سبيل الله إن جُهّز بمال غَيره، فله فضل الجهاد، ولِمن جهّزه فضل النفقة في سبيل الله، وكلاهما فضلٌ، والجود بالنفس أفضلُ في سبيل الله من الجود بالمال"[100].

ومع أن المصداق البارز للجهاد بالمال هو الإنفاق والصرف في الجبهات العسكرية، إلاّ أنه بالإلتفات إلى أبعاد الجهاد التي أشرنا إليها في البحث السابق، يُعلمُ بأن الجهاد المالي لا ينحصر في المجالات العسكرية، بل ينبغي عدم الامتناع عن بذل المال في سائر المجالات، ويجب مع رعاية الإمكانات والظروف الموجودة والاحتياجات اللازمة، يجب الإنفاق في كل منها، وإفشال أهداف العدو.

ملاحظة:

في عشر من الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد بالمال جنباً إلى جنب الجهاد بالنفس، يُلاحظ تقدم الحديث عن الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس. ومن الممكن أن تكون حكمة هذا التقديم هي التالية:

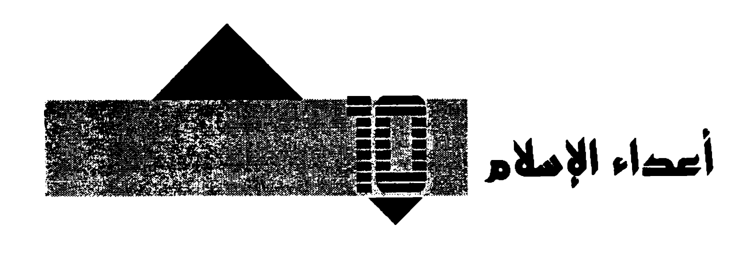
1. أن الجهاد بالمال يمثل في الغالب مقدمة للوصول إلى الجهاد بالنفس، حيث لا بدّ للمجاهدين من صرف مقدار من أموالهم في تهيئة عدة الجهاد وعتاده، وذلك قبل التوجه إلى الجبهة ومواجهة العدو.

2. أن أكثر المسلمين إن لم نقل جميعهم يحوزون شروط الجهاد بالمال، في حين أن الجهاد بالنفس هو نصيب أفرادٍ محددين يمتلكون شروط المشاركة فيه. فمع أن القاعدين عن الخروج إلى الحرب بسبب الكهولة أو المرض.. بالإضافة إلى النساء هم معذورون عن المشاركة في الجهاد بالنفس، إلاّ أنه يجب عليهم بقدر الاستطاعة أن يشاركوا في الجهاد بالمال. وعليه، فدائرة الجهاد بالمال أوسع من دائرة الجهاد بالنفس وأكثر شمولاً لأفراد المسلمين.

---

100 . مستدرك الوسائل، ج11، ص24.

وفقط في مورد واحد ـ الآية المائة والحادية عشرة من سورة التوبة ـ ذكر الجهاد بالنفس قبل الجهاد بالمال، والسبب في ذلك أن الله تعالى قد أشار فيها إلى نفسه باعتباره مشتري أرواح المؤمنين وأموالهم، ومن الطبيعي حينئذٍ أنه ينبغي أن يختار تقديم البضاعة الأَنْفَس.



أعداء الإسلام

من الممكن تقسيم أعداء الإسلام إلى فئات ثلاث هي: المشركون وأهل الكتاب والبغاة. ولجهاد كل فئة من بينها أحكاماً خاصة، نبيّنها باختصار فيما يلي:

أ. جهاد المشركين

يُصطلح لفظُ المشركين للإشارة إلى الأشخاص الذين لا يعتنقون ديناً سماوياً، ولا يعتقدون بأصل التوحيد الذي يمثل دعوةَ جميع هذه الأديان الإلهية، وقد شُرّع جهاد المشركين في الإسلام من أجل دعوتهم إلى الدين الخاتم، ولرفع الموانع من أمام تبليغ الدين، وإنقاذ المستضعفين الذين وقعوا تحت وطأة ظلمهم.

جهادُ المشركين هذا ـ ما لم يعقدوا صلحاً مع المجتمع الإسلامي ويقدموا تعهداً بعدم التعرض يُقرّه ولي أمر المسلمين ـ أمر جائز، وكذلك الاستمرار به إلى وقت يرفعون فيه أيديهم عن عبادة الأصنام ويُذعنون للتوحيد أو إلى وقت يوافق فيه قادتهم على عدم منع التبليغ والدعوة إلى الإسلام، ويَدَعوا المستضعفين وشأنهم ليسمعوا بحرية كلام الأنبياء ﷺ ويختاروا دينهم الذي يرتضونه.

ب. جهاد أهل الكتاب

يُطلَقُ لفظُ "أهل الكتاب" على اليهود والنصارى، ويدخل أتباع الزردشتية في حكمهم. والحرب مع هؤلاء منوطة بأن يمتنعوا عن قبول الإسلام أو عن قبول حكومته وسلطته السياسية ودفع الجزية[101]، ولكن في حالِ هم قبلوا الدخول في الإسلام أو دفعوا الجزية، فلا يتعرّضون على أثر ذلك لهجوم المسلمين، ويُمكنهم

101. الجزية نوع من الضريبة المالية ينبغي على أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حماية الحكومة الإسلامية أن يدفعوها، وهي تؤخذ منهم لصرفها في مصالح الحكومة الإسلامية، ومقابل الحفاظ على أرواحهم.

أن يبقوا على دينهم الأول. يقول تعالى بشأن جهاد هذه الفئة:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[102].

ويُشير العلامة الطباطبائي في تفسيره إلى أنّ الحكم بأخذ الجزية من أهل الكتاب وحقهم في البقاء على دينهم (على أثر ذلك) هو حكم لا زال المسلمون ملزمون برعايته، إلاّ أنه في زمان تحقق الوعد بانتصار المؤمنين على عدوّهم فوق هذه الأرض، والذي أشارت إليه آيات من القرآن المجيد[103]، لا يمكن لأهل الكتاب سوى أن يختاروا قبول التوحيد ودين الإسلام، لأن الشرك يجب أن يزول بالكامل في ذلك اليوم عن وجه الأرض[104].

ج. جهاد أهل البغي

الباغي هو الشخص الذي يقوم على إمام عادل موجود على رأس الحكومة الإسلامية أو يكيد له[105]. وطالما أنّ مخالفتهم تقتصر على اللسان وتنحصر بالكلام، ولم يُقدموا على إثارة الفتنة في وجه النظام الإسلامي، فلهم الحق في العيش بحرية. وأمّا في حال إقدامهم على أي عمل يهدد أو يضرّ بمصالح الإسلام، فالمسلمون مكلّفون بجهادهم والإطاحة بهم؛ وهو ـ أي هذا النوع من الجهاد ـ أمر متفق عليه بين علماء الشيعة والسنّة. يقول صاحب الجواهر حول هذا الموضوع:

"ليس هناك أدنى خلاف بين المسلمين في وجوب جهاد الأشخاص الذين قد

---

102. التوبة: 29.
103. راجع سور لصف: 9، الأنبياء: 105 والنور: 55.
104 . راجع تفسير الميزان، ج2، ص67-66.
105. عرف صاحب الجواهر البغي بأنه "هو الخروج عن طاعة الإمام العادل"؛ راجع جواهر الكلام، ج21، ص322، دار إحياء التراث العربي.

خرجوا على الإمام العادل، حينما يدعو الإمامُ أو نائبه الخاص الناسَ، بشكل عام أو خاص، إلى هذا الجهاد. وكل من يتأخر عن تأدية هذه الفريضة، يكون قد ارتكب ذنباً كبيراً"[106].

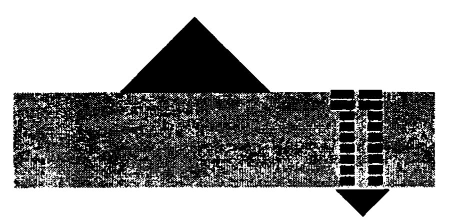
إنّ سلوك عليّ عليه السلام مع فئة البغاة يحكي عن طبيعة هذا الوجوب، فإلى الحين الذي لم يكن فيه هؤلاء قد رفعوا السلاح بعد، كان عليه السلام يجيز لهم الدخول إلى المسجد، ويدفع لهم حقوقهم من بيت المال[107]. ولكن حينما لجأوا للثورة المسلّحة وإثارة الفتنة، قام عليه السلام لحربهم؛ ولم تكن حربه مع المارقين والناكثين إلاّ من هذا القبيل.

ويُعدّ الاستمرار في حرب البغاة مرهوناً بالتمكن فعلياً من قطع فتنتهم، بمعنى أنهم لو خرجوا للحرب بصورة فردية ودون وجود تشكيلات مركزية لهم وفئة يرجعون إليها، تعتبرُ الحرب معهم بحكم المنتهية إن هم فاءوا إلى الحق واستسلموا، أو إن هم فرّوا من ساحة المعركة. وأمّا إن كان لهم تشكيلات وفئة تدير أمورهم وتجهزهم فإن هزيمتهم الأولية في الحرب وفرارهم من ميدان القتال لا يكفي في إنهاء جهادهم، بل لا بد من الإستمرار فيه حتى تزول نواتهم المركزية وقيادتهم. وإن اتخاذ عليّ عليه السلام إجراءات ملاحقة جيش معاوية في صفّين، وعدم ملاحقته للفارين في معركتي الجمل والنهروان، كان مبنياً على هذا الأساس؛ وقد صرح الأئمة المعصومونعليهم السلام بهذا في رواياتهم[108].

106. المصدر السابق، ص325-324.

107. راجع المبسوط، للشيخ الطوسي، ج7، ص265. المكتبة المرتضوية.

108. راجع وسائل الشيعة، ج11، ص56-55، دار إحياء التراث العربي.



الجهوزية الدفاعية

يحكم عقل الإنسان كما فطرته وغريزته بضرورة توفير الاستعداد الكافي للدفاع في أيام الصلح والسلم، وذلك لأجل التمكن من الوقوف في وجه العدو إن هو قام فجأة بهجوم خاطف وسريع. وقد دلّت التجارب على أن الشعوب اليقظة والمستعدة تمكنت على الدوام من صد الحملات المفاجئة للعدو، وحفظت بقاءها واستمرار وجودها. وعلى العكس من ذلك، فإن الشعوب التي كانت تعيش الغفلة واللامبالاة، كانت تسقط دائماً ضحية لغفلتها وتتعرض للهزيمة.

إنّ الإسلام يأمر أتباعه أن يُعدوّا ما استطاعوا من قوة لأجل الدفاع عن أنفسهم، وذلك قبل وقوع الحرب وظهور الحاجة إلى الدفاع، بل يأمرهم أن لا يسمحوا للعدو حتى بمجرد التفكير بالهجوم على بلاد المسلمين. فإن هو شنّ هجومه على الرغم من قوة المسلمين وشوكتهم، يكونون حينئذٍ قادرين من خلال هذا الاستعداد المسبق على مواجهته وردعه بسهولة.

إنّ أصرح آية على الإطلاق تأمر بوجوب التجهّز والاستعداد، هي الآية الستون من سورة الأنفال، حيث يقول تعالى فيها:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

هذه الآية هي في الحقيقة تحذير بليغ لكلّ المجتمعات الإسلامية من أن يغفلوا عن الأعداء المعروفين وغير المعروفين، ومن أن يتركوا التفكير في مواجهة العدو، لأننا إن غفلنا فالعدو لن يدعنا وشأننا، وسيتحيّن الفرص للهجوم على البلاد الإسلامية.

ولهذا نَجدُ علياً عليه السلام يقول حول هذا الأمر: "من نامَ لم يُنم عنه"[109].

إعداد القوة

يجب كل من الدولة الإسلامية والشعب المسلم أن يعدّوا أنفسهم. فعلى سبيل المثال، يجب على الدولة الإسلامية أن تهيئ كل الإمكانات اللازمة لتعليم فنون الحرب المختلفة كما أن عليها أيضاً مسؤولية تأمين السلاح الخفيف والثقيل بكافة أنواعه والعتاد الحربي.

من جانب آخر، يجب على الشعب تعلم الفنون القتالية التي يُحتاج إليها، وأن يُشكلوا كتائب تعبوية عسكرية مستعدة للمواجهة دائماً. ولعلّ في هذا ما يفسر سبب توجيه الخطاب لعامة الناس في آية الإعداد، خلافاً للآيات السابقة واللاحقة التي وجهت الخطاب إلى شخص النبي ﷺ. فهذه الآية تريد أن تشير إلى أنّ هذا الأمر الإلهي بضرورة الإعداد شامل لآحاد المسلمين تماماً كما يشمل الحكومة الإسلامية والعاملين عليها؛ ولذا، يجب على كل منهم أن يَجِدَّ في تنفيذ هذا التكليف الإلهي بقدر استطاعته، وأن يُعدّ كل ما يمكنه من أسباب القوة.

وقد استخدمت الآية في بيانها لمعنى الجهوزية المطلوبة، مفردتين اثنتين هما: "قُوَّة" و"رِبَاطِ الْخَيْلِ".

المقصود من "القوة" هو كل شيء يؤدي إلى تقوية المجاهدين في كامل تخصصاتهم سواء على الصعيد المادي أم المعنوي. ولأن هذا التعبير هو تعبير مطلق، نستنتج أنه لا حدّ لنوع هذه القوة ومقدارها، وهي تتبدل بتبدّل الأزمنة، والميزان فيها أن تكون مناسبة لمواجهة العدو.

والروايات التي قد وردت في هذا المجال، جميعها كانت لتعيين مصاديق هذه

109. نهج البلاغة، الرسالة 62.

القوة وبيان اتساع معناها وشموله. فقد عُبّر عن هذه القوة في بعضها بتعبير "الرماية"، كما قيل أيضاً أن المقصود من القوة هو "**وحدة الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في الثواب الإلهي**". وأحياناً فسّرت بمعنى "**الحصن**"[110]، وأخرى فسرت ـ كما في بعض الروايات ـ بالسلاح والسيف والترس وحتى بصبغ الشعر الأبيض للمجاهدين[111].

ولأجل تحقق وجود هذه القوة والجهوزية عملياً، كان النبيُّ الأكرمُ صلى الله عليه وآله يشجع المسلمين على إقامة مسابقات الرماية وسباق الخيل، كما كان يرافقهم بنفسه لمشاهدتها، وأحياناً كان يشارك شخصياً فيها[112]. وقد أولى صلى الله عليه وآله استمرارية هذا التعليم لفنون القتال عناية خاصة، حيث كان يطلب من أصحابه أن لا يغفلوا عن ذلك، كما ورد عنه:

"**من تعلّم الرمي ثم تركه فقد عصاني**"[113].

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وآله علِم في أيام حرب حُنين باختراع سلاح جديد في اليمن فأرسل على الفور رجلاً إلى هناك كي يشتري هذا السلاح للمجاهدين[114].

بناءً عليه، يمكن في هذا الزمان أن نعتبر إعداد الوسائل العسكرية المتطورة كالدبابات المتنوعة، والطائرات، والسفن الحربية، والتدريب المتواصل للقوات العسكرية، هو من مصاديق إعداد هذه القوة.

أمّا التعبير الثاني في الآية، وهو تعبير "**رباط الخيل**" (أي الخيل المربوطة

---

110. راجع مجمع البيان، ج4-3، ص853.
111. راجع تفسير نور الثقلين، ج2، ص165-164.
112. وسائل الشيعة، ج6، ص351-345. عند مراجعة هذا الهامش وجدناه لا يتناول الموضوع المشار إليه. وهناك شيء قريب من المصدر نفسه، ج11، ص107.
113. الدر المنثور، السيوطي، ج3، ص193، دار المعرفة.
114. راجع التفسير الأمثل، ج7، ص224.

والمستعدة)، فيعدُّ أيضاً من مصاديق تلك القوة. ولأنّ الخيل الأصيلة والسريعة كانت هي أفضل وسيلة للركوب والقتال في عهد النبي ﷺ، فقد ذُكرت بعنوان النموذج الأفضل؛ وذكرُ هذا المصداق يستطيعُ أن يُرشدنا أيضاً إلى ضرورة إعداد أكثر العتاد الحربي تقدماً وتأثيراً.

الهدف من الجهوزية

إنّ الهدف من وراء ضرورة الإعداد وتأمين السلاح وزيادة القدرة القتالية، ليس هو التعدّي على حقوق الآخرين وظلمهم، بل هو منع الأعداء الطامعين وردعهم عن التفكير بالهجوم وشن الحملات على الوطن الإسلامي؛ وفي قوله ﴿تُرهبون به عدو الله وعدوكم﴾ إشارة إلى هذا المعنى.

ويدلُّ على ذلك أنه يشير في الآية التالية مباشرة[115] إلى التأثير العميق لهذه الجهوزية الدفاعية على معنويات الأعداء، فيقول:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فهذا الإجراء الذي يتخذه المسلمون ليس فقط يخرج فكرة الهجوم عليهم من أذهان الأعداء، بل يدفعهم إلى التفكير في عقد صلح وإرساء أواصر العلاقة الطيبة مع المسلمين. وعليه، للجهوزية العسكرية والدفاعية في الإسلام، بُعدٌ سلمي ودعوة إلى الصلح لا إلى إشعال الحروب.

المسألة الأخرى التي ينبغي الإلتفات إليها في سياق عرض الهدف من وراء هذه الجهوزية، هي أنّها تصب في المقصد النهائي للجهاد - وهو أن يكون "في سبيل الله". فاقتران "عدو الله" مع "عدوكم" في الآية يدل على أنه في تطبيق هذا التكليف بضرورة الإعداد لا مكان للأهداف الشخصية، بل أنّ الهدف هو

115. الأنفال: 61.

حفظ دين الإسلام فقط[116].

الجهاد المالي من أجل تأمين الجهوزية

مثلما يستلزم الدفاع والجهاد في سبيل الله صرف أموال كثيرة لأجل هذا الغرض، كذلك هو الأمر بالنسبة لامتلاك الجهوزية الدفاعية وتهيئة أسباب الرد على الحملات المفاجئة للعدو.

وعلى الرغم من أن سد هذه الحاجة وتأمين الميزانية اللازمة هو من ضمن مسؤوليات الحكومة الإسلامية، إلاّ أنه يجب أيضاً على الشعب أن ينفق بقدر استطاعته من أجل تأمين مصاريف الحرب والدفاع.

ولكي يشجع الله تعالى الناس على الإنفاق في هذا الطريق، بشّرهم بأنّ كلّ ما ينفقونه من أجل تأمين الجهوزية الحربية، سوف يُرد إليهم. يقول تعالى:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[117].

هذا الوعد الإلهي يبعث الأمل في نفوس المؤمنين، ويدفعهم إلى الإنفاق في سبيل الجهاد بطمأنينة، من أنّ هذه المعاملة هي مع الله، وأنّ الله سوف يثيبهم على ما فعلوا في هذه الحياة أو في الحياة الآخرة.

حماية الثغور

بالإضافة إلى أثر الجهاد والجهوزية القتالية، لحمايةِ ثغور البلد الإسلامي دور أساسي ومهم في الدفاع عن كيان الإسلام والمسلمين والحفاظ عليه، وهو مما لا ينبغي أن يُغفل عنه أبداً.

ولحسن الحظ، فقد أولى الإسلام هذا الأمر الحياتي أهمية خاصة. فمن

116. بالاستفادة من "التفسير الأمثل"، ج7، ص226.
117. الأنفال: 60.

خلال دعوة المؤمنين وحثهم على المرابطة على الثغور، ومنح الثواب الكثير على ذلك، استطاع أن يصونَ حدود البلد الإسلامي من تجاوزات المعتدين.

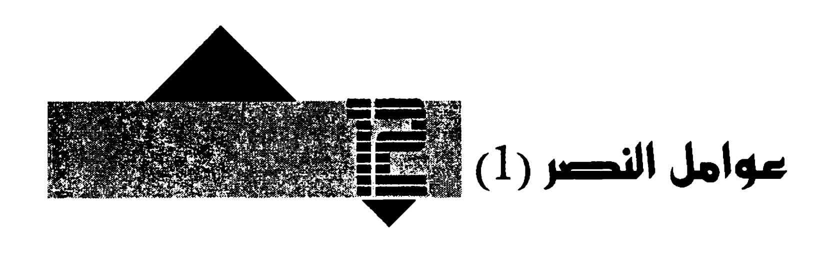
ومما ينقله سلمان(س) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

"رباط يوم في سبيل الله خير من قيام شهر وصيامه ومن مات مرابطاً في سبيل الله كانَ له أجرُ مجاهدٍ إلى يوم القيامة"[118].

وفي حديث آخر، أنّ المرابطة على الثغور في سبيل الله، وليوم واحد، أفضل من الدنيا وما فيها[119]. ولما لهذه الحماية من أهمية، نجد الإمام السجاد عليه السلام يدعو للمرابطين، وقد ذُكر هذا الدعاء في صحيفته الشريفة. يقول عليه السلام:

"اللّهم صلِّ على محمد وآله وحصِّن ثغورَ المسلمينَ بعزتكَ وأيّد حُماتها بقوتكَ وأَسبغْ عطايَاهُمْ مِنْ جِدَتكَ. اللّهم صلِّ على محمد وآله وكَثّر عدَتَهُم واشحَذْ أَسلحَتَهُم واحْرُسْ حوزَتَهم وامْنَعْ حومَتَهُم وألّفْ جمعَهُم ودبّر أَمرَهُم.."[120].

118. مستدرك الوسائل، ج11، ص28.
119. الدر المنثور، ج2، ص114.
120. الصحيفة السجادية، دعاء أهل الثغور.



عوامل النصر (1)

يمكن تقسيم عوامل النصر في الحرب إلى قسمين: عوامل مادية ومعنوية. وسنتعرض في هذين الفصلين القادمين إلى كلا هذين القسمين بالشرح والتفصيل.

أ. العوامل المادية

تعتبر الجهوزية القتالية، وتوفر الإمكانات والعتاد الحربي، والاستمرار في التدريب العسكري والتخصصي هي العوامل المادية المؤثرة في انتصار قوة عسكرية ما. وقد سبقت الإشارة إلى أن توفير هذه العوامل بالشكل الكامل والمطلوب كان بوحي من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾؛ وهو ما يُثبت بدوره أنّ القرآن الكريم قد رأى في تأمين كافة العوامل المادية سبباً من أسباب تحقيق الانتصار في الحرب.

ولأجل أن يتمكن المسلمون من الحصول على هذه العوامل المادية المؤثرة في صناعة النصر ومن القيام بالتكليف الملقى على عاتقهم، ينبغي لهم من جهة أن يتعلموا كل العلوم والفنون الحربية، ويزيدوا من قدراتهم العسكرية يوماً بعد يوم. كما ينبغي عليهم من جهة أخرى أن يُؤمنوا، وعلى قدر استطاعتهم، أحدث الأسلحة وأكثرها تقدماً، مثلما كانت سيرة الرسول الأكرمﷺ، والتي لا يخالفها جميع العقلاء والخبراء العسكريون. كذلك، تعد القوات البشرية الكافية أحد الأركان الأولى للحرب، والتي ليس هناك من شكٍّ في ضرورة تهيئتها وتربيتها. ويدرك الاختصاصيون العسكريون أهمية مثل هذه العوامل ـ كمّاً وكيفية ـ وهم يعملون على القيام بما يلزم لتأمينها.

ب. العوامل المعنوية

إنّ ما يجبُ إيلاؤه أهمية أكبر في هذا البحث، هو العوامل المعنوية للنصر، نظراً لكونها العوامل الرئيسية والأساسية في تحقيقه. وفيما يلي شرح مفصّل لها.

١. الوعي والمعرفة الصحيحة

إن المجاهد الذي يسير للقاء العدو باعتقادات صحيحة وأصيلة، فيرى في الله الخالق والربّ والمؤثر الوحيد في عالم الوجود، الذي له الإحاطة التامة بجميع الموجودات وسائر ما خفي أو ظهر، ويعتبر نفسه وليّاً للمؤمنين وعدواً للكافرين، مثل هذا الشخص ينظر إلى الدنيا كمنزل مؤقت، ويرى في الآخرة دار الخالدين، وفي الشهادة فوزاً عظيماً وفي الجهاد في سبيل الله عملاً يحبّه الحقّ سبحانه، ويعزو سبب الانتصار إليه وحده تبارك وتعالى، ولا تجرّه النتيجة الظاهرية للحرب - سواءً كانت نصراً أم هزيمة - نحو الغرور أو اليأس، ولا تمنعه من أداء التكليف.

إنّ إنساناً يحمل فكراً كهذا، يصير راسخاً كما الجبل فلا يفقد ثباته أمام الأحداث والمشاكل الصعبة للحرب، ويستقيم على طريق الهدف حتى نهاية العمل. ومن المعلوم أن أمثال هؤلاء، قياساً إلى من يرون موتهم في الدنيا زوالاً لكل وجودهم، هم أشد مقاومة، وفي النتيجة هم أقرب إلى النصر.

القرآن المجيد بدوره يصرّح بأنّ علّة هزيمة القوى الكافرة أمام المؤمنين الصابرين هي نفس عدم إدراكهم الصحيح للمسائل المتعلقة بهذا الوجود. يقول تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[121].

وعن طريق المقارنة بين صفات المؤمنين والكافرين يمكن أن نفهمَ بأنّ القرآن يعتبرُ الوعي والمعرفة الصحيحة والعميقة بعالم الوجود وحقائقه، عاملاً من عوامل انتصار المؤمنين.

121. الأنفال: 65.

٢. الصبر والثبات

لقد جاء القرآن على ذكر الصبر في سياق حديثه عن الجهاد والمواجهة، أو عن مقاومة الأنبياء والقادة الإلهيين للمشاكل التي كانت تنزل على رؤوسهم من الصديق والعدو، في أكثر من ثلاثين آية[122]. وفيما يلي نُشير إلى البعض منها، والتي قد أكدت على الدور المباشر للصبر في تحقيق الانتصار.

ففي سياق إصدار أوامره لمجاهدي معركة بدر، أشار الله تعالى إلى أمرين اثنين على صعيد الصبر، حيث يقول في بداية إحدى الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ..﴾[123].

وفي نهاية الآية التي تليها يوصي من جديد: ﴿..وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[124].

وللثبات من الناحية اللغوية معنى أوسع من الصبر، لكن المراد هنا هو عدم الفرار من وجه العدو، وفي ذلك تأكيد على نفس ما ورد في الآية الخامسة عشرة من نفس السورة، حيث يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾.

وقد ورد الحديث عن الصبر أيضاً بوصفه سبب انتصار القوات المسلمة القليلة العدد، على قوات المشركين والكفار الكثيرة العدد، حيث قال تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[125].

طبعاً، من المهم أن نشير إلى أن الصبر الذي يكون عاملاً في الانتصار هو

122. راجع الجهاد في القرآن، طاهري خُرّم آبادي، ص121. منشورات "بيام آزادى".
123. الأنفال: 45.
124. الأنفال: 46.
125. الأنفال: 65.

الصبر الذي ينشأ من عمق معرفة المجاهدين، حيث ترتبط درجة هذا الانتصار بدرجة الإيمان والصبر الذي يمتلكونه ويبدونه. ولهذا، نلاحظ أنه في الآية التالية ونظراً لتراجع معنويات قوات المجاهدين، تضاءلت نسبة غلبة المؤمنين على الكافرين من واحد على كل عشرة، إلى واحد على كل اثنين. والسبب في ذلك هو ضعف الإيمان الذي أصيبوا به، وإلاّ فمن الناحية المادية لم يكن هناك من داعٍ لهذا التضاؤل، حيث كان عدد المجاهدين يزداد يوماً بعد يوم، ويمتلكون أسلحةً أكثر عن طريق الغنائم التي كانت تصل إلى أيديهم. يقول تعالى:

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[126].

إنّ التوأمة بين الصبر والنصر إحدى السنن الإلهية التي جرت بحق الأقوام السابقة أيضاً، حيث أن انتصار بني إسرائيل على الفراعنة كان بسبب صبرهم واستقامتهم:

﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا...﴾[127].

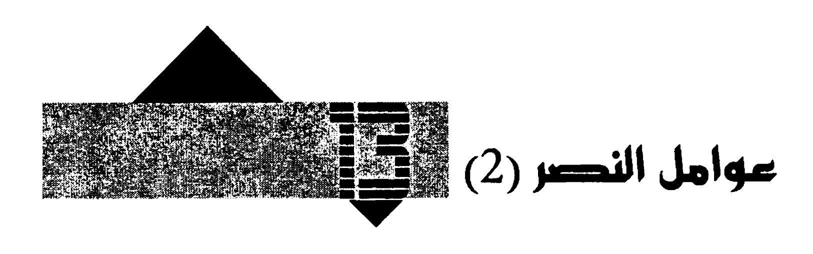
وهي سنّة دائمة ينقلها القرآن على لسان مؤمني جيش طالوت، فيقول:

﴿...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[128].

وبعد أن أمر عليّ عليه السلام جنود جيشه بجمع العدّة والعتاد، نجده يوصيهم بالصبر، والذي يعدّهُ أفضل عاملٍ لتحقيق النصر: "..**واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر**"[129].

---

126. الأنفال: 66.
127. الأعراف: 137.
128. البقرة: 249.
129. نهج البلاغة، خطبة 26.



عوامل النصر (2)

٣. ذكر الله

من الأوامر الأخرى التي أوصى بها القرآن المجيدُ المؤمنينَ المجاهدين هي أن يذكروا الله في ساحة الحرب والقتال: ﴿..وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[130].

فذكر الله يوجه المؤمنين نحو القدرة الإلهية اللامتناهية، وهو ما يؤدي بدوره إلى تقوية معنوياتهم وثباتهم، وفي النتيجة إلى انتصارهم.

يقولُ عليّ عليه السلام بشأن ذكر الله في الحرب:

"إذا لقيتم عدوّكم فأقلّوا الكلام وأكثروا ذكر الله عزّ وجلّ"[131].

وقال عليه السلام أيضاً:

"رأيت الخضر في المنام قبل بدرٍ بليلة فقلتُ له: علّمني شيئاً أُنصرُ به على الأعداء، فقال: "يا هو يا من لا هو إلاّ هو" فلمّا أصبحتُ قصصتها على رسول اللهﷺ، فقال لي: يا عليّ عُلِّمتَ الإسم الأعظم؛ وكان على لساني يوم بدر"[132].

ومن الممكن أن يكون المراد من "ذكر الله" في ساحة الحرب، هو استحضار المعارف الإلهية التي تتناسب مع روحية طلب العون والمساعدة الموجودة لدى كل مجاهد خلال القتال. يقول العلامة الطباطبائي (قده):

".. وهذا أقوى قرينة على أن المراد بذكر الله كثيراً أن يذكر المؤمن ما علّمه

---

130. الأنفال: 45.

131. بحار الأنوار، ج93، ص154.

132. المصدر السابق، ج19، ص310.

تعالى من المعارف المرتبطة بهذا الشأن، وهو أنّه تعالى إلهه وربّه الذي بيده الموت والحياة وهو على نصره لقدير، وأنه هو مولاه، نعم المولى ونعم النصير، وقد وعده النصر إذ قال: إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وأنّ الله لا يُضيّع أجرَ من أحسن عملاً، وأن مآل أمره في قتاله إلى إحدى الحسنيين إما الظفر على عدوه ورفع راية الإسلام وإخلاص الجوّ لسعادته الدينية، وإمّا القتل في سبيل الله والانتقال بالشهادة إلى رحمته، والدخول في حظيرة كرامته، ومجاورة المقربين من أوليائه، وما في هذا الصفّ من المعارف الحقيقية التي تدعو إلى السعادة الواقعية والكرامة السرمدية"[133].

ترك التعلق بالدنيا وزخارفها هو الآخر ثمرة جميلة لذكر الله في الحرب، حيث يؤدي التعلق بها إلى ضعف المقاتلين. ولذا، يطلب الإمام السجّاد عليه السلام من الله في دعائه أن يُنسي حماةَ الثغورِ هذه الزينة الدنيوية، فيقول:

"اللهم صلّ على محمد وآله وأَنسِهم عند لقائهم العدوَّ ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور وامحُ عن قلوبهم خطرات المال الفَتُون واجعلِ الجنَّةَ نُصبَ أعينِهم ولوِّحْ منها لأبصارهمْ ما أعدَدتَ فيها من مساكنِ الخُلدِ ومنازلِ الكرامةِ والحورِ الحسانِ والأنهارِ المطّردة بأنواعِ الأشربةِ والأشجارِ المتدليةِ بصفوفِ الثّمرِ حتى لا يَهُمَّ أحدٌ منهم بالإدبارِ ولا يُحدِّثَ نفسَهُ عن قِرْنِه بفرار"[134].

٤. إطاعة القيادة

في إطار تعداده لعوامل النصر في الآية السادسة والأربعين من سورة الأنفال، أشار القرآن الكريم إلى عامل إطاعة الله ورسوله، وطلب من المؤمنين المجاهدين أن يطيعوا الأوامر الإلهية، وأوامر رسول الإسلام العظيم الذي قد تحمل على

133. تفسير الميزان، ج9، ص95.

134. الصحيفة السجادية، دعاء أهل الثغور.

عاتقه مسؤولية قيادة الحرب. وتتضح أهمية هذا الموضوع أكثر حينما نلتفت إلى أن هذا الطلب قد تكرر ثلاث مرات، ضمن سورة الأنفال التي نزلت بشأن معركة بدر[135].

إطاعة النبي تعني أن ينفذ المؤمنون أوامـره، وأن يبتعدوا عن كل أشكال التسرّع أو التباطؤ، فضلاً عن الامتناع عن تنفيذها. ويعتقد العلامة الطباطبائي أن المقصود من الطاعة في هذه الآية ـ بقرينة السياق ـ هو إطاعة أوامر تصدر عن الله ورسوله بشأن الجهاد والدفاع عن حريم الإسلام، من قبيل أن عليهم (المجاهدون) أن يُتمّوا الحجّة في البداية، وأن لا يتعرضوا حال المعركة لنساء الأعداء وأطفالهم، وأن لا يغيروا على العدو بليلٍ دون أن يعلموهم.[136]

إن إطاعة القيادة، تمنح القائد قدرة أن يحرّك قواته بمنتهى الفعّالية، وذلك بواسطة إيجاد الوحدة والانسجام في ما بينها، كما تقرّبُه من النصر. ولقد كان أحد أسرار انتصار قلّة قليلة من المسلمين في صدر الإسلام على أعدائهم الكُثر، هو إطاعتهم غير المشروطة للقيادة.

ففي إحدى المعارك، استشار النبي الأكرمﷺ أصحابه في أمر القتال. فقام المقدادُ وقال:

"يا رسول الله! إمض لأمر الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[137]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون"[138].

135. المرتان الأولى والثانية وردتا في الآية الأولى والآية العشرون من نفس السورة.
136. راجع الميزان، ج9، ص95.
137. المائدة: 24.
138. مغازي الواقدي، ج1، ص48، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٥. الاتحاد ووحدة الكلمة

تؤدي الوحدة والاتحاد بين المجاهدين إلى رفع المعنويات والانضباط فيما بينها، كما وتؤدي أيضاً إلى إيجاد الخوف والوحشة بين أفراد العدو.

هذا الانسجام والتآخي يجعلان عمل القائد أسهل، ويذللان الصعوبات والمشاكل. وقد أشار القرآن المجيد في وصفه للمجاهدين المؤمنين إلى هذه الخاصيّة ـ خاصيّة الانضباط والوحدة ـ حيث صوّرهم بصورة صفٍّ مرصوص في مواجهة العدو، فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[139].

وحذّرهم على هذا الصعيد من خطورة التفرقة والاختلاف، فقال:

﴿...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾[140].

المراد هنا من كلمة "**الريح**" في هذه الآية هو "**العزة والدولة**"، وقد ذكر الراغب الأصفهاني كذلك أن معنى كلمة "الريح" في الآية هو "الغلبة"، ووجه هذه الاستعارة والتشبيه هو أنّ الريح تحرك كل ما تهبُّ عليه، فتنزعه من مكانه وتحمله معها، وكذلك التغلب على العدو يؤدي على قلعه من مكانه والإطاحة به.[141]

ولأجل تقوية الوحدة الروحية بين المجاهدين، كان النبي الأكرمﷺ يؤكد حتى على وحدتهم الظاهرية ويحول بينهم وبين الفرقة. ففي بعض أسفاره، نزل النبيﷺ في بعض منازل الطريق، فتوزّع المسلمون في الوديان وشعب الجبال، فقالﷺ: "**إنّما ذلكم من الشيطان**"[142].

---

139. الصف: 4.
140. الأنفال: 46.
141. راجع الميزان، ج9، ص95، بتصرف.
142. سنن أبي داوود، ج3، ص41.

ومن ضمن وصاياه العسكرية، كان عليّ عليه السلام يقول:

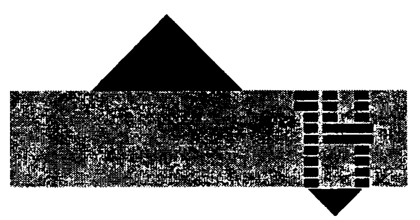
"إيّاكم والتفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً وإذا ارتحلتُم فارتحلُوا جميعاً"[143].

ونجد السجّادعليه السلام يطلب في دعائه الوحدة للمجاهدين من الله حيث يقول:

".. وألّف جمعهم ودبّر أمرهم"[144].

143 . لم يذكر مصدر هذا الحديث في النسخة الفارسية.

144. الصحيفة السجادية، دعاء أهل الثغور.



عوامل الهزيمة

يستفاد من منطق القرآن المجيد أن لعوامل الهزيمة جذوراً تضربُ في أعمال الإنسان وسلوكه، حيث يقول تعالى:

﴿...مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[145].

المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية هو النصر والهزيمة، إذ هي في صدد الردّ على الأشخاص الذين ينسبون الهزيمة إلى غير أنفسهم، ويبحثون عن منشئها في مكان آخر.[146]

بناءً عليه، من اللازم للمجاهدين أن يسارعوا بعد كل هزيمة أو فشل إلى تقييم نتائج أعمالهم والوقوف على نقاط ضعفهم وتقصيرهم، ويعمدوا إلى رفعها وجبرانها، لا أن ينسبوها إلى الله أو أشخاص آخرين، فيغفلون عن إصلاحها، ويتعرضون للهزيمة مرة ثانية لنفس تلك الأسباب.

وتنقسم عوامل الهزيمة أيضاً إلى عاملين اثنين: مادي ومعنوي. وكما هو الحال في العوامل المادية للنصر، تبحث العوامل المادية للهزيمة في إطار العلوم العسكرية. ولهذا سوف نتعرض في هذا الفصل لأهم العوامل المعنوية للهزيمة:

١. فقدان البصيرة

يؤدي عدم المعرفة الحقيقية بمبدأ القدرة في عالم الوجود، وعدم التوكل عليه، إلى تزلزل المعنويات وإلى الاضطراب في أوقات الشدّة والمصاعب. كما ويؤدي إلى وقوع الإنسان في التردد والحيرة حينما يجب عليه أن يختار بين الدنيا

---

145. النساء: 79.

146. راجع التفسير الأمثل، ج4، ص21-20.

والآخرة طريقاً يسلكه، ومن ثم إلى أن يعزمَ على أمر خاطئ.

من جانب آخر، وعلى أثر حدوث الانتصارات الظاهرية، يؤدي عدم المعرفة هذا إلى بروز الغرور والعجب، وتبدل الانتصارات إلى هزائم، أو إلى سوء الاستفادة من هذه الانتصارات، ومنع النتائج المترتبة عليها من أن تكون من نصيب المجاهدين؛ وسنترك الحديث عن أهمية وجود البصيرة إلى بحث "خصائص المجاهدين"، والذي سيلي ضمن الفصول الآتية.

٢. التفرقة

لقد نهى القرآن المجيد المجاهدين عن التفرقة والخلاف، واعتبرها سبباً لزوال قدرتهم وشوكتهم[147].

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً إلى أن الهزيمة هي من نصيب أولئك الأشخاص الذين تخلّفوا عن الاتحاد ونصرة بعضهم البعض، حيث يقول: "**غُلبَ والله المتخاذلون**"[148].

وفي مورد آخر، أبرز عليه السلام انزعاجه وقلقه جراء اتحاد مخالفي الحق، وتفرّق أهله ونزاعهم فيما بينهم، فقال:

"**والله يميتُ القلبَ ويجلِبُ الهمَّ اجتماع هؤلاء القومِ على باطلهم وتفرقكم عن حقكم**"[149].

فالأشخاص المبتلون بالخلافات الداخلية لا يُفيدهم وجود العوامل المادية ولا المعنوية، ولذا نجد علياً يقول بهذا الشأن: "**إنه لا غَنَاء في كثرة عددِكم مع قلة اجتماع قلوبكم**"[150].

147. الأنفال: 34.
148. نهج البلاغة، الخطبة: 34.
149. المصدر السابق، الخطبة: 27.
150. المصدر السابق، الخطبة: 118.

وقد أشار القرآن الكريم على هذا الصعيد، إلى ما جرى مع المسلمين في معركة أُحد، وكيف أنّ الإمدادات الغيبية رفعت من بينهم عندما تنازعوا فيما بينهم واختلفوا، حيث قال:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[151].

٣. العصيان

مثلما تُعدُّ طاعةُ القائد في الحرب سبباً من أسباب النصر، كذلك يُعدُّ عصيان أوامره علّة لهزيمة المجاهدين. وقد نقل عن عليّ عليه السلام بهذا الشأن قوله: **"آفةُ الجُند مخالفةُ القادة"**[152].

وبالالتفات إلى هذا الأصل، نجده أيضاً يكتبُ إلى عامله عثمان بن حُنيف فيقول:

"..فانهَد بمنْ أطَاعكَ إلى منْ عصَاكَ، واستغن بمنْ انقادَ معكَ عمَّن تَقاعسَ عنكَ، فإنَّ المتكَارِهَ مَغيبُهُ خيرٌ من مَشهَدِه، وقُعودُهُ أَغنَى من نُهوضِه"[153].

إن عصيان القوات الموضوعة تحت أوامر أحد القادة، يسلب هذا القائد القدرة على القيام بأي عملٍ، ويضعفه عن النهوض بمسؤوليته، ولقد كانت أكثر شكايات عليّ عليه السلام من جنده، ترجع إلى عدم طاعتهم له. ولهذا السبب، كان يتمنى أن يعاوضَ عشرة من جنده لقاء جندي واحد من جنود معاوية المطيعين[154]، لأنهم كانوا يطيعون معاوية مع عصيان الله، بينما كان جنود عليّ

151. آل عمران: 152.
152. ميزان الحكمة، ج1، ص111.
153. نهج البلاغة، الرسالة الرابعة.
154. المصدر السابق، الخطبة 96.

يعصونه مع طاعته لربه.

وأحدِ انتقاداتِ القرآن المجيد لبني إسرائيل كانت أنّهم تمرّدوا على طاعة موسى عليه السلام واتّباعه في حربه لدخول بيت المقدس، واعتبروه وحده المسؤول عن الحرب[155].

وتعود علة الهزيمة في بعض معارك صدر الإسلام إلى عصيان الأوامر أيضاً، مثلما حدث في معركة أُحد، حيث هُزم المسلمون لعدم عملهم بما طلبهُ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منهم؛ إذ كانوا مأمورين أن لا ينزلوا عن الجبل حتى ولو رأوا المسلمين ينتصرون، لكنهم مع مشاهدتهم بشائر النصر تتحقق، سارعوا في طلب الغنائم، وعصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فسببوا هزيمة المسلمين في المعركة.

كذلك في الأمر في صفين، فإن عدم وصول الحرب فيها إلى نتيجتها المرجوة، وما لحق المؤمنين من خسائر بعدها، يَرجعُ جميعه إلى عدم طاعة أمير المؤمنين عليه السلام. كما أن تمرّد الجُند وعصيانهم هو الذي أجبر الإمام الحسن عليه السلام على إقامة الصلح مع معاوية.

٤. المفاسد الأخلاقية

يعدُّ شيوع المفاسد الأخلاقية بين القوات العسكرية المجاهدة سبباً آخر لضعف القوى المعنوية، وفي النتيجة لهزيمة هذه القوات. إحدى هذه المفاسد التي لها دور أبرز من غيرها، والتي أشار القرآن المجيد إليها صراحة، هي مفسدة العجب والغرور.

إنّ عُجَبَ الإنسان وغروره يعميانه عن مشاهدة الوقائع والحقائق، ويجعلانه يظن أن جميع الظروف والمعطيات هي تحت سيطرته وتعمل لمصلحته. الإنسان

155. المائدة: 24.

المغرور والمعجب بنفسه، يغفلُ عن التدقيق في الجوانب المختلفة لمسألة من المسائل، وهو ما يؤدي إلى نزول الضربات به. كذلك يسبب العجب الاعتماد على النفس بدلاً من الاعتماد على الله، وبفقدان هذا المعتَمد الراسخ، يصير السقوط والتراجع أمراً حتمياً وغير قابل للاجتناب.

وكنموذج من التاريخ، يمكن أن نُدقق النظر في واقعة حُنين. فقد أصاب المسلمين الغرورُ لما رأوه من كثرة عددهم، وتوقعوا أن يكون النصر الحتمي حليفهم جراء ذلك. وللمثال، فقد قال أبو بكر لمن كانوا معه: "لن نُغلب اليوم من قلّة"[156].

في هذه الحالة، جعلتهم لا يُراعون الأصول العسكرية، فما أن نزلوا الوادي حتى أُخذوا على حين غرّة، وانفرط عقدُ صفوفهم عند أول هجوم للعدو وفرارِ عدد من طلائع الجيش ومقدمته، وما لبث أن فرّ أغلبهم أيضاً. وقد تحدث القرآن المجيد عن هذه الواقعة فقال:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[157].

لقد تواضع النبي الأكرمﷺ بعد الانتصارات في بدر، وفتح مكة...، وهو بعمله هذا، وإضافة إلى تقديم الشكر إلى الحق سبحانه، كان يُعلِّم المجاهدين أن يتقوا من العجب والغرور، وأن يعتبروا أنّ النصر من عند الله.

لهذا، وبعد فتح مدينة خرمشهر في حرب العراق المفروضة على إيران الإسلام، نجد الإمام الخميني(س) يقول في بيان أصدره:

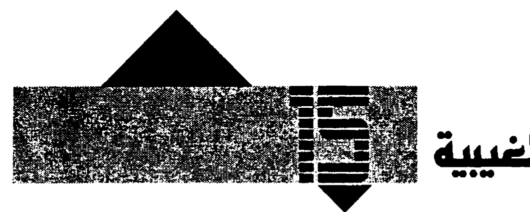
"يا أبناء القرآن الكريم!.. احذروا من أن توقعكم الانتصارات، مهما كانت

156. الإرشاد، الشيخ المفيد، ج1، ص140.

157. التوبة: 25.

عظيمة أو باهرة، في الغفلة عن ذكر الله الذي بيده النصر والفتح، واحذروا أن يؤدي عنفوانكم ونصركم إلى الوقوع في العجب، والذي يُعدُّ آفة عظمى وفخّاً خطيراً قد ينصبه ابليس للإنسان من خلال وساوسه لأجل إيقاعه في الهلاك"[158].

158. صحيفة النور، ج16، ص154.



الإمدادات الغيبية

المراد من "الإمداد" هو "تقديم المساعدة"، ومن "الإمدادات الغيبية" هو "إيصال النّصرة الخفية"، والذي يَحدثُ من قبل الله تعالى، ويعدُّ أحد العوامل المهمة لانتصار المسلمين.

وقد ذُكرت في العديد من آيات القرآن المجيد، نماذج من الإمدادات الغيبية الإلهية التي كانت تفاض على المجاهدين طوال التاريخ الماضي، خصوصاً تاريخ صدر الإسلام. ولقد تجلّت ـ ولا تزال ـ الإمدادات الإلهية للمجاهدين بصور مختلفة، ومن أهمها:

١. إيجاد الخوف في قلوب العدو

إنّ الأشخاص الذين لديهم اطلاع بشؤون الحرب وأحوالها، يعلمون أن تحلّي المقاتلين بالشجاعة وعدم الخوف هو أحد أهم عوامل الانتصار. ولأجل تقديم النصر للمؤمنين، فقد نزع الله تعالى هذه الروحية من العدو، وألقى بدلاً عنها الخوف والرعب من قدرة المسلمين في قلوبهم، مثلما شاهدنا ذلك جلياً في معارك صدر الإسلام المختلفة، حيث يقول تعالى متحدثاً عن أول معركة بين الإيمان والكفر، معركة بدر: ﴿...سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ...﴾[159]

وبعد إثارة حماسة المسلمين للمشاركة في غزوة حمراء الأسد[160]، يقول أيضاً: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا..﴾[161].

---

159. الأنفال: 12.

160. اسم مكان على بُعدِ ثمانية أميال من المدينة، أُمر النبي الأكرم ﷺ من قبل الله أن يتعقب المشركين إليه، مباشرة بعد معركة أحد.

161. آل عمران: 151.

والسبب الأساس في انتصار المسلمين على يهود "بني قريظة" كان أيضاً الإمداد الإلهي:

﴿.. وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[162].

كما أنه كان السبب كذلك في الانتصار على يهود "بني النضير"، فدفعهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم، حيث يقول تعالى:

﴿..وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[163].

لقد كان انتصار المسلمين عن طريق إلقاء الخوف في قلوب الأعداء من الأهمية بمكان أن النبيﷺ كان يعتبره أحد خصوصياته الإلهية، حيث قال:

"أُعطيتُ خمساً لم يُعطَها أحدٌ من قبلي.. ونُصرتُ بالرّعب.."[164].

٢. نصرة الملائكة

يُقدَّم النوع الثاني من الإمداد الإلهي بواسطة الملائكة، حيث يرسلهم تعالى لمساعدة المسلمين، وليسرّع في انتصار المؤمنين على المشركين من خلال تقوية معنوياتهم. وقد تحدّث القرآن المجيد عن مثل هذا الإمداد الغيبي في معركة بدر فقال:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾[165].

ولأجل دفع المسلمين وحثّهم على الاشتراك في غزوة "حمراء الأسد"، يعدهم

162. الأحزاب: 26.
163. الحشر: 2.
164. بحار الأنوار، ج8، ص38.
165. آل عمران: 124.

الله بمثل هذه النصرة فيقول:

﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[166].

كما ويصف نصرة المسلمين عن طريق الملائكة في معركتي الأحزاب وحنين، فيقول:

﴿...وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا.. .﴾[167]

﴿...وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا...﴾[168].

٣. إنزال السكينة على المؤمنين

انطلاقاً من أن عوامل مختلفة كالخوف والشك في الهدف، تؤدي إلى تخريب روحية المجاهدين ومعنوياتهم، فإن الله لا يخرج ذلك من قلوبهم فحسب، بل يلقي بدلاً منها السكينة والطمأنينة.

فخلال أحداث صلح الحديبية، مرّ المسلمون في ظروف صعبة أوجدت التزلزل في نفوس ضعاف الإيمان. فقد كان النبي ﷺ بشّر بدخول المسجد الحرام لكن المسلمين لم يدخلوه حينها وكانوا قد أحرموا للعمرة فمنعهم المشركون من أداء مناسكها، فاضطروا للخروج من إحرامهم، إلى ذبح أضحية. كما أنّ قبول بنود الصلح كان ثقيلاً وصعباً على البعض منهم.

وفي مثل تلك الأوضاع، كان أن أنزلَ اللهُ سكينتَهُ على قلوبهم، حيث أشار القرآن المجيد إلى هذا بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾[169].

المراد من السكينة هو الهدوء والاطمئنان، والتي يزول معها كل نوع من أنواع

166. آل عمران: 125.
167. الأحزاب: 9.
168. التوبة: 26.
169. الفتح: 4.

الشك والتردد والخوف من نفس الإنسان، وتثبت أقدامه في خضم الحوادث الصعبة.

وكذلك كان الأمر في معركة "حنين" التي فرّ فيها كثير من المسلمين، حيث عُدَّ نزول السكينة على النبيﷺ والمؤمنين منَ الإمدادات الإلهية التي تُضاف إلى الإمدادات الغيبية الأخرى:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾[170].

٤. النصرة بواسطة العوامل الطبيعية

نظراً إلى أنّ فعالية جميع الأشياء ومن جملتها العوامل الطبيعية، هي بيد القدرة الإلهية المطلقة، يسخر الله تعالى في بعض الأوقات هذه العوامل لمصلحة المسلمين وضد الكفار.

فعن طريق إنزال المطر على المسلمين وإلقاء النعاس عليهم، وفّر الله لهم في معركة بدر أسباب الدعم المادي والمعنوي، فضلاً عن الطهارة الجسمية. وفي هذا المجال يقول تعالى:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[171].

وفي معركة الأحزاب، كان أحد عوامل الانتصار هو الريح العاصف التي هبّت على المشركين واقتلعت خيامهم ودبّت الرعب فيهم: ﴿..فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ...﴾[172].

---

170. التوبة: 26، طبعاً يعتبر بعض المفسرين، أن نزول السكينة في حنين اختص بالأشخاص الذين استقاموا مع النبيﷺ وثبتوا.

171 . الأنفال: 11.

172. الأحزاب: 9.

فلسفة الإمدادات الغيبية

1. إعطاء البُشرى وحثّ المجاهدين.

2. إيجاد اطمئنان النفس وتقوية معنويات المجاهدين.

يقول القرآن المجيد بشأن هذين الأمرين: ﴿وما جعله الله إلاّ بشرى لكُم ولتطمئنّ قلوبُكم به..﴾[173].

٣. هزيمة العدو

يقول القرآن حول هذا الشأن: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾[174].

٤. زيادة إيمان المؤمنين

يقول تعالى: ﴿..لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[175].

السنن الإلهية للمدد الغيبي

يتبعُ نزولُ الإمدادات الغيبية من قبل ربّ العالمين، مثله مثل سائر السنن الإلهية، شروطاً وضوابط خاصة، لا تقبلُ التخلّف أبداً. وعليه، لا تعدّ هذه الإمدادات حكراً على فئة خاصة أو على مسلمي صدر الإسلام، بل إنّ كلّ فئة من المؤمنين تُوفّر لنفسها شروطَ نزول هذه الإمدادات عليها سوف تستفيد منها حتماً.

وقد أشارت آيات من القرآن المجيد إلى هذه السنن والعلل بنحو إجمالي، منها أن نصرة دين الله سبب في حدوث نصرة المؤمنين:

173. آل عمران: 126.
174. آل عمران: 127.
175. الفتح: 4.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[176].

وفي آية أخرى، ورد التأكيد على هذه السنّة بشكل أقوى حيث يقول تعالى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ﴾[177].

كذلك، أتت بعض الآيات صراحة على ذكر دور عدد من العوامل المؤثرة في نزول الإمدادات الغيبية، منها ما جاء على سبيل المثال في الآية (125) من سورة آل عمران، والتي قد أشارت إلى الصبر والتقوى كعلّتين من علل نزول الإمدادات الإلهية.

ويُفهم من آية أُخرى أن الدعاء والاستغاثة بالله هو أيضاً من أسباب نزولها، حيث يقول تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[178]

فقد جاء في تفسير هذه الآية أنّ النبي الأكرمﷺ استغاث بالله كثيراً قبل نشوب القتال في معركة بدر؛ وكذلك قعد المسلمون للمناجاة والتوسل.[179]

وفي سياق ترغيب جنده بالجهاد، أشار عليّ عليه السلام إلى مسألة الإمدادات الإلهية، وبيّن سرّها على النحو الآتي، حيث قال:

"ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله.. فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر.."[180].

من الممكن أن يكونَ لفظُ "الصدق" في هذه العبارة حاكياً عن الإيمان والنصرة، والتوكل والصبر وجميع الصفات الحميدة والمطلوبة في المجاهدين

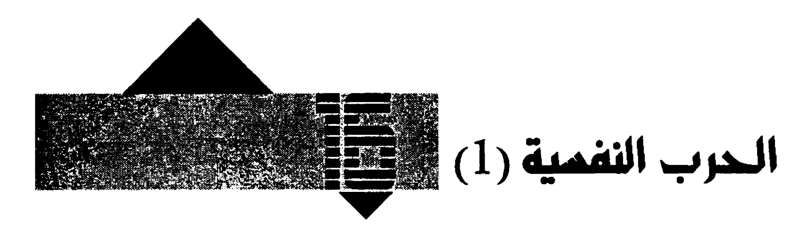
176 . محمد: 7.
177. الحج: 40.
178. الأنفال: 9.
179. راجع بحار الأنوار، ج19، ص221.
180. نهج البلاغة، الخطبة 55.

في سبيل الله، فلو صدق المجاهدون لأكرمهم الله سبحانه، وإن تخاذلوا في أمر دينهم وتركوا الصدق في القول والعمل، فلا ينبغي لهم أن يتوقعوا الإمدادات الغيبية مثلما حذّر عليه السلام من ذلك في كلام آخر له، حيث يقول:

"وانّكم إنْ لجأتم إلى غيره (الإسلام) حاربكُم أهلُ الكُفر، ثم لا جبرائيلُ ولا ميكائيلُ ولا مهاجرونَ ولا أنصارٌ إلاّ المقارعةُ بالسيف حتى يحكُم الله بينكم"[181].

من مجموع الآيات والروايات المذكورة، يُفهم أن الإخلاص في النيّة، والعمل الصالح للمؤمنين السائرين في طريق الله، يهيئ الأرضية لنزول الإمدادات الغيبية. ومن الواضح أنه كلما كانت هذه العلل أوفر وهذه الأرضية أكثر استعداداً، كانت الإمدادات الغيبية أشمل وأكثر فائدة، تماماً كما جرى مرات عدة مع شعب إيران المسلم والثوري خلال أيام المواجهات مع النظام البائد، وأيام الثورة والحرب المفروضة، حيث شملته إمدادات الله الظاهرة والخفية.

181. نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة 192.



الحرب النفسية (1)

تُعدُّ دائرةُ الحرب النفسية أكثر اتساعاً من دائرة الحرب العسكرية، ذلك أنها تمتد من الناحية الزمانية على فترة أطول، حيث تبدأ قبل مدة من بدء الحرب العلنية، وتستمر بعدها بمدة أيضاً.

ومن الناحية المكانية، لا تنحصرُ الحرب النفسية في جبهة القتال، بل تطالُ آثارها الخطوط الخلفية للجبهة. وعليه، فالأفراد الذين ليسوا في حالة مواجهة عسكرية هم أيضاً عرضة ـ وبشكل مباشر ـ لتهديدات الحرب النفسية، حيث تشاهد آثارها على أفكارهم وتصرفاتهم.

في بعض الموارد، يكون سلاح الحرب النفسية أكثر فعالية وتأثيراً من سلاح الحرب العسكرية. والسبب في ذلك أن الحرب النفسية إنما تنال من أفكار ومعنويات المجاهدين وعامة الناس، ومن خلال آثارها الإيجابية أو السلبية، تدفع بهم أكثر إما نحو الاستمرار في الحرب أو نحو العدول عنها.

ولهذا السبب، يُلاحظُ أحياناً أن جبهةَ قتالٍ بعددِ جنودٍ قليل وتسليحٍ غير كافٍ، لكن مع وجود معنويات قوية واعتقادٍ راسخ بصحة الطريق، تنال النصر.

في المقابل، نجدُ أنّ فئة كبيرة قد تقبلُ الاستسلام أمام العدوّ ـ حتى قبلَ أن تحصل الهزيمة العسكرية فعلياً ـ بسبب عدم وجود معنويات قوية.

وعلى المجاهدين أن يمتلكوا زمام المبادرة في الحرب النفسية كما هو الحال في الحرب العسكرية، وأن يُعجزوا العدو، ويقتربوا من النصر عن طريق القيام بهجوماتٍ متكررة، وردّ الحملات النفسية التي قد تُشنُّ عليهم.

عواملُ النصر في الحرب النفسية

يمكن في الحرب النفسية أن يُستفاد من أدوات عدة، أهمها ما يلي:

١. ترسيخ الوحدة بين المجاهدين وإيجاد الاختلاف في صفوف العدو:

إن الوحدة بين القوات المجاهدة هي من أفضل العوامل على الإطلاق التي ترفع المعنويات وتبعث الطمأنينة فيهم عند لقاء العدو، وتوفر لهم أسباب الانتصار. ولأجل تحقيق هذا الغرض، حث القرآن الكريم المؤمنين على الوحدة، بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[182].

ومن ناحية أخرى، نهى المجاهدين عن التنازع فيما بينهم[183]، لأن ذلك يؤدي إلى زوال قوتهم وشوكتهم، ويُجرئ العدو عليهم.

وبهدف إيجاد الوحدة بين المؤمنين، عمد النبي الأكرمﷺ إلى إقامة عقدٍ للأخوة فيما بينهم، وحيثما كان يشمّ رائحة الاختلاف بين المؤمنين، كأن يسارع بكلماته البليغة إلى وأد هذا الاختلاف في مهده، ويزيل أرضية وجوده واستمراره.

من جهته، أشار إمام الأمة (قده) أيضاً إلى مسألة الوحدة بين القوات المسلحة مرات عدة، أيام الحرب المفروضة على إيران الإسلام، وحذّر من كل أنواع التفرقة والخلاف، ودعا إلى تقوية أواصر هذه الوحدة أكثر.

إن إيجاد الاختلاف أو تقوية الموجود منها بين صفوف العدو، يعدُّ من العوامل الفعّالة في الحرب النفسية، لأن ذلك يؤدي إلى أن ينشغل بنفسه، والى سلب فرصة

182. الصف: 4.
183. الأنفال: 46. (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

إثارة الفتن والمكائد من يده. ولقد اتبع النبي الأكرمﷺ في معركة الأحزاب خطة مدروسة بعناية لإيجاد الاختلاف بين صفوف الكفار، وكانت هذه الخطوة منه أحد الأسباب الرئيسية في انتصار المسلمين في تلك الحرب.

فقد أمر الرسولﷺ نعيم بن مسعود، وكان قد أسلم حديثاً دون أن يعلم أحد من الكفار بذلك، بأن يوجد التفرقة بين اليهود والمشركين الذين كانوا قد تواطئوا معاً خلال معركة الأحزاب للإطاحة بالإسلام، مستفيداً من علاقته الحميمة والمقرّبة من الطرفين. وقد تمكن نعيم عن طريق محادثات منفصلة مع يهود بني قريظة الذين كانوا داخل المدينة، ومع المشركين الذين كان يحاصرونها من خارج، أن يجعل كلاً منهما يسيء الظن بصاحبه، وبالتالي استطاع أن يفككّ اتحادَهما، مما أضعفَ قدرتهم فأدى ذلك إلى جانب عوامل أخرى ـ إلى انتصار المسلمين.[184]

طبعاً، يجب الالتفات في هذه المواجهة إلى أن العدو يلجأ أحياناً إلى استخدام هذه الحربة ضدنا، ويعمل على إيجاد التفرقة بين صفوف المجاهدين أنفسهم ولذا يجب عليهم الوقوف بحذر ويقظة في وجه سعيه هذا.

ومن النماذج على هذا الأمر، ما جرى في صدر الإسلام من التفرقة على يد المنافقين حينما كان الجيش خارجاً إلى أُحد، حيث عادوا من منتصف الطريق، الأمر الذي أوجد بلبلة وتشتتاً في صفوف المسلمين[185]. واليهودُ بدورهم، كانوا دوماً يفكّرون في كيفية إثارة التفرقة بين المسلمين، حيث أدت تحركاتهم إلى إثارة النعرات القديمة بين قبيلتي الأوس والخزرج، وكادت أن تجرّهما إلى فخّ السقوط في التقاتل من جديد.[186]

184. راجع تاريخ الطبري، ج2، ص578. وسيرة ابن هشام، ج3، ص240، ومغازي الواقدي، ج2، ص480.
185. راجع مغازي الواقدي، ج1، ص819. "تاريخ بيامبر"، آيتي، ص286.
186. راجع السيرة النبوية، ابن هشام، ج1 و2، ص556-555، دار الكنوز الأدبية.

واليوم أيضاً، فإن أسلوب الاستكبار العالمي وعملائه، يقوم على تدمير أواصر الوحدة بين المؤمنين والمجاهدين، وذلك عن طريق محاولة التشكيك بمقام الولاية وتشكيل الأحزاب والفرق، والاستفادة من بعض الشخصيات، ومن وسائل الإعلام وغير ذلك من الحيل والمكائد؛ والسبيل الوحيد للنجاة من كل هذا هو الرجوع إلى حريم الولاية الآمن، والتزام طاعتها بالكامل.

٢. تقوية معنويات المجاهدين وإيجاد روحية الشك والضعف في صفوف العدو:

إن عمل كل إنسان، وميزان قوته أو ضعفه في إنجاز هذا العمل، يرجعُ إلى معتقداته وتصوراته التي يحملها. فالإنسان الذي يعتقدُ بفائدة عملٍ ما وضرورته، ينجزه بمنتهى القوة والدقة. وإن كان متردداً بشأنه، فإنّه يتركُه عندَ أو مشكلة يواجهها. ولهذا، يُعدُّ رسوخُ العملِ في معتقدات الإنسان، أهم عامل من الناحية النفسية في إنجازه وإتمامه.

بالالتفات إلى هذا الأمر، ولأجل أن يؤدي المجاهدون في سبيل الله ما عليهم في ساحة الحرب بشكل صائب، ولا تظهرَ منهم أدنى بوادر الضعف والتراجع، ينبغي عليهم في البداية أن يقووا معتقداتهم، وأن يُهيئوا أنفسهم عن طريق معرفة الحق وتمييزه عن الباطل.

من جانب آخر، يجب لأجل إضعاف العدو أن تسودَ بينهم روحية الشك والضعف، فالأعداء الذين قد حضروا إلى ساحة القتال وهم يحملون عقائد واهية وباطلة، يظنون أنها الحق، يمكن أن تُسلبَ القدرةُ منهم والمبررات عن طريق بين الحقائق والوقائع الصحيحة. مثل هذا العدو، إن أمكننا أن نبدل يقينه إلى شك، لن يحتاج بعدها إلى كثير عمل نقوم به في مواجهته، ويمكن هزيمته بسهولة. ولهذا السبب ذُكر في الفقه الإسلامي لزوم الدعوة إلى الإسلام قبل

جهاد العدو ومقاتلته، وفي سيرة المعصومينعليهم السلام ما يحكي عن ذلك بوضوح. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام خلال الحروب، يسعى بقوة ـ قبل بدء المعركة ـ إلى هداية أعدائه وتغيير ما هم عليه، وذلك عن طريق إلقائه أو أحدَ قادته، لخطبة أو حديث على مسامعهم.

طبعاً لا تنبغي الغفلة عن أن العدو في هذا النوع من الحرب النفسية، يعمد إلى بذل جهود مقابلة لإضعاف قدرة المجاهدين. فرفع جيش معاوية للمصاحف على رؤوس الرماح في معركة صفين كان لأجل تحقيق هذا الغرض، وهو ما أدى بالفعل ـ وعن طريق إدخال الشك في نفوس كثيرين من جند علي عليه السلام ـ إلى دفع هؤلاء الجنود للضغط على عليّعليه السلام لقبول وقف إطلاق النار والتحكيم المفروض.

وقد نُقل في بعض التفاسير أن البعض من أهل الكتاب كانوا يعمدون لأجل إيجاد روحية الشك والضعف في نفوس مسلمي صدر الإسلام، إلى الإيمان أول النهار والكفر في آخره، ليشككوا بهذه الوسيلة في صحة الإسلام وصوابيته..[187]

ومن تكتيكات العدو الأخرى للوصول إلى هدفه هذا، هو تظاهره بلباس الدفاع عن الحق، وجعله الأمور تلتبسُ على عامة الناس. فهم يعمدون إلى مزج الحق بالباطل، عسى أن يتمكنوا من توفير الفرصة لباطلهم كي يحل مكان الحق.

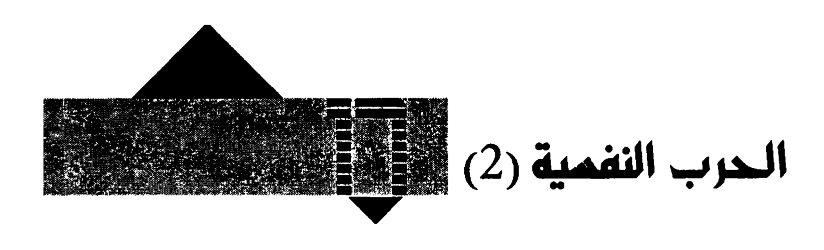
فمع كل ذلك الشرك والكفر، نجد فرعون يصف موسى عليه السلام ـ في سياق حرب نفسية ضده ـ بأنه مظهر للفساد، في حين يصف نفسه هو بالهادي إلى الرشد والكمال، ويطلب أن يُقتل موسىعليه السلام. وقد تحدث القرآن المجيد عن ذلك فقال:

187. بالاستفادة من "تفسير راهنما"، أكبر هاشمي رفسنجاني وجمع من المحققين، ج4، ص105، مركز منشورات دفتر تبليغات اسلامى.

﴿...إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿...قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[188].

وفي الوقت الحاضر، يسعى الاستكبار العالمي أيضاً بوسائل متعددة ليظهر بصورة المدافع عن حقوق الإنسان، في حين يعتبرُ فيه المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله أشخاصاً منحرفين عن صراط الإنسانية؛ وليس هذا سوى استمرار لأسلوب أجدادهم الفراعنة!.

188. غافر: 26 و29.



الحرب النفسية (2)

٣. الاستفادة من سلاح التبليغ والإعلام:

يجب أن يعمد المجاهدون، وبالاستفادة من الطاقات الفاعلة ووسائل الإعلام العامة، إلى التبليغ بأفضل صورة. وينبغي خلال التبليغ ضد العدو، الاستفادة من أساليب يكون لهذا أكبر الأثر في تقوية معنويات المجاهدين، وإضعاف وتدمير معنويات العدو.

فيما مضى، كان الارتجاز في الحرب عادة يُعملُ بها. وعن طريقه، كان الأشخاص يُعرّفون أنفسهم أمام الخصم، وأحياناً يعلنون عن غاياتهم وأهدافهم. أمّا اليوم، وقد تعدت الحروب إلى أبعد من مواجهة رجل لرجل، وأصبحت تصيب بنارها الشعوب التي تفصلها آلاف الكيلومترات عن بعضها البعض، لا بد من أجل التبليغ ضد العدو والإشارة إلى أهدافنا ومقاصدنا من أن نستفيد من وسائل الإعلام والاتصال العامة.

أحد الأهداف الأساسية للتبليغ، هو سلب الدوافع من الأعداء للهجوم على المجاهدين، لأنه إن أمكن سحب الذرائع من أيديهم، لم يعُد بإمكانهم توفير حجة للهجوم والإصرار على متابعة العمليات؛ وبضغط بسيط يمكن دفعهم نحو الاستسلام أو الهزيمة.

من الأهداف الأساسية الأخرى في التبليغ، تضخيمُ وإبراز نقاط ضعفِ العدو. وفي هذا المجال، ينبغي في البداية الحصول على المعلومات الكاملة من خلال كلّ الوسائل المتاحة، حول النقاط الحساسة والتي يمكن توجيه الضربات إليها عند العدو، ومن ثم يمكن البدء بحرب نفسية وإعلامية لقلع العدو من مكانه.

من ناحية أخرى، من الضروري مواجهة دعايات العدو، وبالخصوص تحوز مسألة الحذر من شائعاته أهمية كبير في هذه الحرب النفسية، لأنّ العدو يسعى عن طريق بثّ الإشاعات إلى حرف توجهات المجاهدين والإضعاف من عزيمتهم.

لقد كانت شائعة مقتل النبي الأكرمﷺ في معركة أُحد من الشائعات التي قام العدو ببثها، مما أدى إلى فرار كثير من المسلمين. كذلك، أدى نشر شائعة الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية خلال وطيس المواجهة بين الجيشين، إلى تراجع حدة القتال، وتوقف كثير من جندهعليه السلام عن متابعة المعركة.

وخلال الثورة الإسلامية أيضاً، استخدم العدو كل طاقاته لنشر الشائعات، وإلصاق التهم الباطلة بمسؤولي النظام الإسلامي، مما دفع بالعديد من أصدقاء الثورة ومؤيديها إلى الوقوف في صف الذين كانوا يناهضونها. وقد أشار إمام الأمة (قده) في وصيته السياسية الإلهية إلى حيلة العدو هذه، وحذّر الناس من الوقوع في مثل ذلك الفخ[189].

إن مفردات من قبيل الإرهاب، وعدم رعاية حقوق البشر، والأصولية وغير ذلك قد أوجدت، وتم الترويج لها بشكل دائم، لأجل إثارة الضغط النفسي على المجاهدين.

وأثناء السنوات الثماني للحرب المفروضة، أُطلقت شائعات عديدة ضد الجمهورية الإسلامية تتهمها بالرغبة في مواصلة الحرب، وتصدير الثورة، والتعدي على البلدان الجارة، والطمع بالنجف وكربلاء، وحتى بالكعبة الشريفة.

189. راجع الوصية السياسية ـ الإلهية للإمام الخميني، ص20، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي.

في مثل هكذا حرب نفسية، ينبغي في البداية زيادة الوعي السياسي للمجاهدين، ومن ثم اطلاعهم، عن طريق إجراء التحليلات العميقة والصحيحة، على حقيقة هذه الشائعات التي أطلقها العدو بشكل مدروس، ومن جانب آخر، نأخذ بعين الاعتبار أسلوب القرآن المجيد في كيفية التعامل مع الشائعات. ففي إطار انتقاده للمنافقين، يقول تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[190].

طبعاً، يلجأ العدو في بعض الأحيان إلى بثّ دعاياته ضد المجاهدين، ولهذا ينبغي القيام بالرد عليه بالأسلوب المناسب وفق خطة إعلامية مشابهة، تماماً مثلما جرى في معركة أُحد، حيث ردَّ المسلمون بأمر من الرسولﷺ على شعار زعيم المشركين (أُعلُ هُبل) بشعار (الله أعلى وأجلّ) وعلى شعار "نحن لنا العُزّى ولا عُزّى لكم" بشعار "الله مولانا ولا مولى لكم".[191]

ونجدُ علياً عليه السلام في حرب الخندق يبادر في مقابل طلب عمرو بن عبدود للمبارزة، إلى الإرتجاز أولاً بشعر يتناسب مع الشعر الذي أطلقه، وذلك رداً على ادعاءاته، ثم يباشر القتال.

وفي يوم عاشوراء، كان الإمام الحسين عليه السلام يواجه الأعداء عن طريق إطلاق الشعارات التي تبيّن هدفه، وذلك رداً على أكاذيب العدو أيضاً. يقول الشهيد مطهري (قده) حول هذا الأمر:

"لقد أطلق أبو عبد الله عليه السلام في يوم عاشوراء شعارات كثيرة، بانت

190. النساء: 83.

191. راجع بحار الأنوار، ج20، ص44.

فيها روح نهضته، وأنه لماذا أقاتلك، ولماذا لا أستسلمُ، ولأي سبب جئتُ حتى أريق آخر قطرة من دمي"[192].

جدير بالقول، أن على المجاهدين أن يتسلطوا على أنفسهم ويكبحوا جماحها عند الرد على دعايات العدو وشائعاته، وأن يبتعدوا عن السباب والشتم. ومع أن ذلك جائز عند مواجهة العدو في بعض الموارد، لكن الترفع بالنفس والعفة في الكلام لهما الأولوية. فعندما سمع علي عليه السلام بعضاً من أصحابه في صفين يسبون أهل الشام نهاهم عن ذلك، وقال:

"إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغَ في العُذر.. "[193].

كما منع القرآن المجيد عن سبّ مقدسات العدو ـ مع كونها باطلة ـ كي لا يتجرؤوا على سبّ مقدسات الإسلام، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾[194].

٤. إيجاد السكينة بين المجاهدين وإنزال الرعب في قلوب الأعداء:

من الوسائل الأخرى الفعّالة في الحرب النفسية، توفير السكينة في نفوس المجاهدين، ويُعدُّ الاعتماد على الاعتقادات الإسلامية، من قبيل دور التوكل والصبر في تحقيق النصر والنظرة الصحيحة إلى مسألة الموت والحياة الخالدة، وتقدير الموت وعدم تأخر الأجل الحتمي، والأمل بالإمدادات الإلهية، من جملة المسائل التي تقوّي وتزيد من تأثير المجاهدين، فضلاً عن كل الأشخاص المتواجدين خلف الجبهات، حيث سيواصلون أعمالهم دون خوف واضطراب، وبطمأنينة بالٍ،

192. الملحمة الحسينية، ج2، ص201، انتشارات صدرا.
193. نهج البلاغة، صبحي الصالح، الكلمة 206.
194. الأنعام: 108.

ولن تؤدي مشكلات الحرب إلى اضطراب معنوياتهم أو خسرانها.

أمّا المسألة المهمة في هذه المواجهة، فهي بعث الرعب والخوف في قلوب الأعداء، والذي يمكن تحقيقه من خلال القيام بعدة أمور.

إحدى هذه الإجراءات هي القيام بتهديد العدو. ففي أحد أيام حرب صفين، أظهر عليعليه السلام بأنه سيشن هجوماً على جيش معاوية مع طلوع الصباح، فوصل هذا الخبر إلى أسماع معاوية ورجاله، واستولى الخوف عليهم، وزالت معنوياتهم.[195]

وفي حرب الجمل كذلك، نادى أمير المؤمنينعليه السلام: **"يا محمد بن أبي بكر! إن صُرِعَتْ عائشةُ فوارها وتولّ أمرها"**. فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا، وأمير المؤمنينعليه السلام واقف في موضعه.."[196]

ومن الإجراءات الأخرى لإلقاء الرعب والخوف في قلوب الأعداء، القيام بالتحركات العسكرية المناسبة. فبعد هزيمة أُحُد، أمر النبي الأكرمصلى الله عليه وآله الأشخاص الذين قد شاركوا في المعركة، حتى الجرحى منهم، أن يخرجوا تحت إمرته لملاحقة العدو؛ وهو ما عُرف باسم غزوة (حمراء الأسد)، والتي كانت استعراضاً للقوة في الواقع. وعلى إثر هذه المناورة ووصول خبرها إلى مسامع أبي سفيان ورجاله، الذين كانوا يعزمون على الرجوع إلى المدينة والقيام بالقضاء المبرم على المسلمين، أخذ الخوف والرعب من قلوبهم كل مأخذ، فعدلوا عن نيتهم وعادوا إلى مكة.[197]

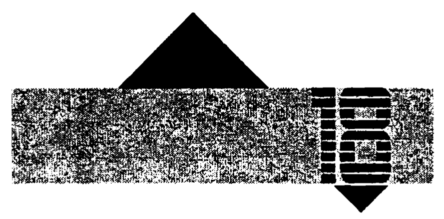
كذلك، أمرصلى الله عليه وآله خلال فتح مكة أن يشعلوا النار على رؤوس المرتفعات المحيطة بمكة. وحينما خرج أبو سفيان للإطلاع على منشأ النار ذُهل، وارتعب من صفوف المجاهدين التي كانت تمرُّ من أمامه، إلى الدرجة التي حذر الناس عند عودته

195. راجع وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص468، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
196. الجمل، الشيخ المفيد، ص183، مكتبة الداوري.
197. راجع بحار الأنوار، ج20، ص64، تاريخ إسلام، محمد إبراهيم آيتى، ص319.

إلى مكة والوقوف في وجه جيش الرسولﷺ[198]. وقد وفّر استعراض صفوف المجاهدين الأرضية المطلوبة لفتح مكة دون إراقة الدماء.

طبعاً، يجب الالتفات إلى أنه لأجل إيجاد الخوف بين الأعداء، من اللازم أن يُتمسَّك بأعمال لا يُحرِّمها الإسلام، لأنّ أعمالاً كالتمثيل بالقتلى أو قتل الأسرى[199] أو إقامة محارقَ للبشر.. وإن كانت تعد أعمالاً باعثة على رعب العدو وهلعه، لكنها ليست جائزة.

198. راجع بحار الأنوار، ج21، ص103. مغازي الواقدي، ج2، ص814. سيرة ابن هشام، ج3، ص78.
199. المقصود هو في الحالة التي لا يستمر معها الخطر، وتكون الحربُ قد وصلت إلى نتيجتها.



من أصول الحرب في الإسلام (1)

يمثل الإسلام برنامجاً كاملاً، شُرّعت فيه جميعُ التكاليفِ، وبُيّنت كلّ القواعد والأصول اللازمة في أبعاد حياة الإنسان كافة. ومن جملة المسائل التي تعرض الإسلام لأصولها مسألة الحرب حيث سنقوم ببيان أهم هذه الأصول وتحليلها في هذا الفصل.

١. رعاية العهود العسكرية

في سياق تعداده لخصال المؤمنين، أشار القرآن المجيد إلى صفة الوفاء بالعهد والميثاق، حيث قال تعالى: ﴿...وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا...﴾.[200]

إنّ الوفاء بالعهد والميثاق هو من أصول الأخلاق الاجتماعية المسلَّمة والتي لا تقبلُ المساسَ بها في الإسلام، حيث لم يُجزِ الله تعالى لأي فرد وتحت أي ظرفٍ أن ينقضها. وقد تم التأكيد على هذا الأصل في أوقات الحرب أيضاً، وأُوصيَ المسلمون أن يَحفظوا كلَّ عهد يقيمونه مع العدو، وأن لا يُخلّوا به أبداً.

ومع أنّ سورة البراءة قد نزلت لتعلن البراءة من المشركين وتدعو إلى التعامل معهم بقسوة وترسل لهم التهديدات إن هم أصروا على شركهم، نلاحظُ في المقابل أن الله تعالى يُذكّر المؤمنين في آيتين منها بضرورة الحفاظ على العهد والميثاق الذي عقدوه سابقاً مع بعض المشركين، وأن من واجبهم أن يستقيموا على ذلك طالما استقام المشركون أيضاً. والملفت في هاتين الآيتين أن الله سبحانه يعتبر هذا الحفاظ وهذه الاستقامة المشار إليهما من علامات التقوى، حيث يقول في الآية الأولى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا

---

200. البقرة: 177.

عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[201].

وفي الآية الأخرى يقول: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[202]

وفي آية أخرى، يأمر تعالى المسلمين بمد يد العون والنصرة إلى إخوانهم الذين أسلموا لكنهم لا زالوا في الأسر ولم يوفقوا للهجرة، إلاّ أن يَطلبَ هؤلاء النصرة على قوم عقد المسلمون عهداً وميثاقاً معهم: ﴿...وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ...﴾[203].

ولقد جرت سيرة النبي الأكرمﷺ طوال مدة دعوته ومحاربته لأعدائه على الوفاء بالعهد والميثاق ما لم ينقض العدو ذلك. وإلى هذا يشير العلامة الطباطبائي (قده) فيقول:

"وعلى ذلك جرى عمل النبيﷺ أيام حياته. فقد عاهد بني قينقاع وبني قريظة وغيرهم من اليهود، ولم ينقض إلاّ بعدما نقضوا، وعاهد قريشاً في الحديبية ولم ينقض حتى نقضوا بإظهار بني بكر على خزاعة، وقد كانت خزاعة في عهد النبيﷺ، وبنو بكر في عهد قريش"[204].

وبعد انعقاد صلح الحديبية أيضاً، فرّ أحد مسلمي مكّة منها، والتحق بجموع المسلمين في الحديبية، فقبل النبي الأكرمﷺ اعتراض ممثل قريش في التفاوض ووافق على إعادته إلى مكة عملاً بأحد بنودِ الصلح، ثمّ خاطبﷺ ذلك المسلم ـ والذي كان قد استاء من إرجاعه إلى قريش ـ ليخفف عنه، فقال:

---

201. التوبة: 4.
202. التوبة: 7.
203. الأنفال: 72.
204. الميزان، كلام في معنى العهد وأقسامه وأحكامه، ج9، ص195-194.

"يا أبا جندل؛ إصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم."[205].

في معركة صفين، ندم عدد من جنود عليّ عليه السلام بعد أن أجبروه على قبول التحكيم، وجاؤوا إليه يطلبون منه أن ينقض عهده، فقال لهم عليه السلام:

"ويحَكُمْ، أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع. أوليس الله تعالى قال: ﴿أوفوا بالعقود﴾، وقال: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمانَ بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً. إنّ الله يعلمُ ما تفعلون﴾"[206].

وعلى أثر قبول القرار (598)، أكد باني الجمهورية الإسلامية الإيرانية، سماحة الإمام الخميني (قده) في بيان وجهه، أن قبول وقف إطلاق النار ليس عملاً تكتيكياً ولا خدعة، أي أن الجمهورية الإسلامية عازمة على أن تفي بعهدها حتى النهاية.[207]

صحيح أن الوفاء بالعهد من الممكن أن يجرّ على المسلمين ضرراً مرحلياً، لكن رعاية العهد والميثاق أكثر أهمية من النفع أو الضرر المرحليين. طبعاً، لو علم المسلمون على ضوء القرائن الموجودة أن العدو ينوي أن ينقض عهده ويشن هجومه عليهم، فيمكنهم أن ينقضوا العهد من جهتهم، غير أنه من اللازم قبل ذلك أن يعلموا العدو عن عزمهم، ولا يحق لهم أن يبادروا إلى الهجوم عليه قبل إعلامه، لأن مثل هذا الهجوم يعدُّ خيانة، والله لا يحب الخائنين.[208]

205. سيرة ابن هشام، ج3، ص333.
206. راجع وقعة صفين، ص514.
207. راجع صحيفة النور، ج20، ص240 و245.
208. راجع الميزان، ج9، ص113 و114.

٢. حرمة الزمان والمكان

كان من عادات العرب في الجاهلية تحريم القتال في الأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب. وقد شُرعت هذه الحرمة في الأصل على لسان إبراهيم عليه السلام[209]، ثم جرت اليهودية والنصرانية على ذلك من بعده[210].

بدوره، أمضى الإسلام هذه السنّة وأيدها، حيث يقول تعالى في القرآن المجيد:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...﴾.[211]

ثم يشير إلى حرمة القتال في هذه الأشهر الأربعة فيقول:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾.[212]

حرمة القتال في هذه الأشهر الأربعة هي لأجل أن يكف الناس عن قتال بعضهم البعض، وتوفير الأمن العام كي يتمكن الناس في ظله من العيش وتأمين وسائل راحتهم وسعادتهم، ويتوجهوا نحو العبادات والطاعات.[213]

من جانب آخر، يمنح عدم التقاتل خلال هذه الفترة، فرصة للمقاتلين كي يفكّروا في عاقبة الحرب وأسبابها على ضوء ما نزل بهم من مصائب. وما أكثر ما تؤدي هذه الفرصة ووقف إطلاق النار إلى رفع اليد عن مثل هذا التقاتل بلا طائل، والتسليم أمام الحق.

كذلك يُمنعُ التقاتل في المسجد الحرام وضمن منطقة الحرم الشريف، والتي

209. راجع المصدر السابق، ص268.
210. راجع التفسير الأمثل، ج7، ص406.
211. التوبة: 36.
212. البقرة: 217.
213. راجع الميزان، ج9، ص268.

تعتبر منطقة آمنة. وقد أشار القرآن إلى حرمة التقاتل هذه فقال:

﴿...وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾.[214]

ولعل فلسفة احترام منطقة الحَرَم تكمن في أنّ شخصاً ما لو أراد أن لا يشهر سيفه أو كان يبحثُ عن ملجأ يجعله في أمان من سيفِ الجلاّد، فيمكنه أن يلجأ إلى الحرم فيأمن من كل ذلك.

طبعاً، لا يخفى أن العدو لو لم يراع حرمة الشهر الحرام أو المسجد الحرام، وهجم على المسلمين في ذلك الوقت أو ذلك المكان، فمن باب المقابلة بالمثل تجب مواجهته، ولا حرمة له في تلك الحالة، وليس على المسلمين من إثم.[215]

٣. رعاية الأحكام الإنسانية في الحرب

على الرغم من جواز اللجوء إلى الخدعة لإركاع العدو في الحرب، بل ولزوم ذلك أحياناً، إلاّ أن المسلمين ليسوا مجازين بالاستفادة من الأساليب الظالمة وغير الإنسانية لهزيمة العدو. فقطع الماء عن العدو، وحرق المزروعات، وتسميم المياه والمواد الغذائية، وقتل النساء والأطفال والعجّز الذين لا طاقة لهم على القتال، وتخريب البنى غير العسكرية، واستخدام الأسلحة الكيميائية والجرثومية.. كلها أمور ممنوعة في الحرب. وقد أشار القرآن المجيد إلى حكم كلي بهذا الشأن حيث قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[216]

وقد استنبط بعض المفسرين من هذه الآية أنه يجب الامتناع عن قتل غير الجنود العسكريين، لا سيما النساء والأطفال، لأنه لا دور لهؤلاء في الحرب[217]؛

214. البقرة: 191.

215. البقرة: 194-191 (راجع).

216. البقرة: 190.

217. راجع التفسير الأمثل، ج2، ص10.

وقد أشار آخر الآية بنحو مطلق إلى لزوم الامتناع عن كل اعتداء: "ولا تعتدوا".

ولقد أكد النبيﷺ والأئمةعليهم السلام بشدة على ضرورة رعاية الأحكام الشرعية والإنسانية في الحروب، ووصَلَنا منهم العديد من التعاليم والإرشادات على هذا الصعيد، من جملتها:

أ. النهي عن قتل النساء والعجّز والأطفال

عن جعفر بن غياث أنه سأل أبا عبد اللهعليه السلام عن النساء، كيف سقطت الجزية عنهنّ ورفعت عنهن؟ قال: **"لأن رسول اللهﷺ نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن"**.[218]

ب. النهي عن إلقاء السمّ في الماء والغذاء أو بين المزروعات

عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: **"قال أمير المؤمنينعليه السلام: نهى رسول اللهﷺ أن يُلقى السُمُّ في بلاد المشركين"**.[219]

ج. المنع عن الأفعال غير الإنسانية

عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: **"إن النبيﷺ كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامّة ثم يقول: ..ولا تُمثّلوا.. ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً.."**.[220]

بالطبع، يجب الالتفات إلى أنه من الممكن لغرضٍ قطع جذور فتنة الحرب والحدّ من وقوع مضار أكبر، أن لا تراعى هذه الأمور بمقدار حدّ الضرورة، خصوصاً في الوقت الذي يستغل العدو رعاية المسلمين لهذه الأحكام لمصلحته،

218. وسائل الشيعة، ج11، ص48.
219. وسائل الشيعة، ج11، 46.
220. المصدر السابق، ص44-43.

فيستقر مثلاً في مزرعة، أو أرضٍ ذات نخل، أو قلعة، ولا يكون هناك من طريق للوصول إليه إلاّ إشعال النار في المزرعة أو قطع النخيل أو إغلاق الماء.

عندما نقض يهود بني النضير عهدهم، وهمّوا بقتال المسلمين، قاموا باللجوء إلى حصونهم. وفي كل مرة كان المسلمون يقتربون من إحدى هذه القلاع وتتعرض لخطر السقوط الحتمي، كانوا يتراجعون إلى قلعة أخرى بعد تخريب كل شيء وراءهم. لهذا، ولغرض استسلامهم، أمر النبيﷺ بأن تُقطع أشجار نخيلهم. اعترض اليهود الذين كانوا شديدي الحرص على زراعتهم، قائلين إن هذا لا يتلاءم مع أخلاق النبيﷺ، فنزلت هذه الآية لتوضح حقيقة ما فعله المسلمون:

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.[221]

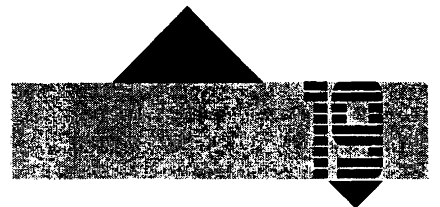
وعندما رأى اليهود ما كان يفعله المسلمون، سارعوا إلى الاستسلام.[222]

وقد سئل الإمام الصادقعليه السلام: ..عن مدينة من مدائن الحرب هل يجوز أن يُرسل عليها الماء أو تُحرَق بالنار أو تُرمى بالمنجنيق حتى يُقتلوا ومنهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين والتجار؟ فقال: "**يُفعل ذلك بهم ولا يُمسك عنهم لهؤلاء ولا ديّة عليهم للمسلمين ولا كفّارة**".[223]

في نهاية هذا الفصل، من المهم أن نشير إلى ملاحظة، وهي أن بالالتفات إلى ما ذكرناه، ومقارنة الأحكام الإسلامية بما يجري اليوم في العالم المسمّى بالمتحضر خلال نشوب المعارك يدل على عمق إنسانية هذه الأحكام من جهة، وعلى وحشية وظلم الأنظمة الاستكبارية وعملائها. وإن الحرب العالمية الأولى والثانية، وحرب النظام الصهيوني الإسرائيلي ضد مسلمي الشرق الأوسط،

221. الحشر: 5.
222. راجع الميزان، ج19، ص208.
223. وسائل الشيعة، ج11، ص46.

وحرب البلقان واعتداءات الصرب لهي من النماذج البارزة على عدم إنسانية هذه الحروب. ومن النماذج الأخرى الواضحة بدرجة أكبر، هو التفاوت بين سلوك النظام الإسلامي في إيران مع سلوك النظام البعثي في حرب السنوات الثماني التي شنّها، حيث كانت إيران الإسلام تحرص على رعاية كل القوانين الإسلامية والإنسانية للحرب، في حين لم يكن النظام العراقي يعير أيّاً من القوانين والأحكام الإنسانية للحرب أدنى اهتمام أو رعاية.



من أصول الحرب في الإسلام (2)

٤. المقابلة بالمثل

أكد الإسلام على ضرورة رعاية الأحكام الإنسانية والشرعية، ولم يكن مستعداً حتى في ساحة الحرب أن يطلب أتباعه النصر عن طريق الجور والظلم، وأما فيما لو تجاوز العدو هذه الأحكام، يسمح الإسلام بمقابلته بالمثل. يقول تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.[224]

ومع أنه قد عُدّت المقابلة بالمثل جائزة في هذه الآية، إلاّ أن المسلمين قد دُعوا من جديد في آخر الآية إلى التحمل والإغضاء.

في آية أخرى، وضمن الإشارة إلى هذا الأصل، يُفهمنا القرآن الكريم أن المقابلة بالمثل هي أمر جائز في نفسه، وأنّ عدم رعاية حدوده لا يتلاءمُ مع أصل التقوى:

﴿...فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[225]

٥. التعامل مع الأسرى

يختصُّ قسمٌ من أصول الحرب في الإسلام بكيفية التعامل مع الأسرى. والحكم الأوليُّ على هذا الصعيد هو أن إمكان أخذ الأسرى منوط بالوقت الذي تكون فيه عقبات المعركة قد زالت، ولا يؤدي الأسرُ إلى انشغال المجاهدين بهم وبالتالي إلى هزيمة قوات الإسلام. وأمّا قبل هذا الوقت، فالأسرُ ممنوع. وقد

---

224. النحل: 126.

225. البقرة: 194.

أشير إلى هذا الحكم في الآية الرابعة من سورة محمد ﷺ. وجاءت الإشارة إلى ذلك أيضاً في قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[226]

والسبب في هذا المنع واضح، لأنه في بداية المعركة حيث لا يكون انتصار المسلمين محسوماً يؤدي أخذ الأسرى إلى انشغال عدد كبير من المجاهدين بحفظهم وحراستهم بالإضافة إلى صرف إمكانات وفيرة لأجل ذلك، وهو ما يؤدي إلى إضعاف جبهة المجاهدين وهزيمتها.

وبالالتفات إلى ما ورد في الآيات السابقة وسائر المصادر الإسلامية، فإن حكم الأشخاص الذين يقعون في الأسر خلال هذه الفترة الأولى من القتال، هو القتل.[227]

طبعاً، في حال أسلم الأسيرُ قبل تنفيذ هذا الحكم فيه، يرفع عنه القتل ويطبق بحقه حكم الأسرى الذين يقعون في قبضة المجاهدين بعد هذه المرحلة.[228]

وأمّا الأشخاص الذين يسقطونَ في الأسر بعد هزيمة العدو فلا يجوز قتلهم،[229] وقائد المسلمين ووليّهم مخيّرٌ بينَ أن يُطلقهم دونَ مقابل أو لقاءَ فدية يدفعونها أو أن يأخذهم أرقّاء.[230]

والأمر الملفت على هذا الصعيد، هو كيفية التعامل مع الأسرى من وجهة نظر الإسلام، فإلى أي فئة انتموا، ينبغي التعامل معهم بإنسانية، والإبتعاد عن أذيتهم والإضرار بهم، وإعطائهم الماء والطعام.

226. الأنفال: 67.
227. راجع جواهر الكلام، ج21، ص123-122، دار إحياء التراث العربي.
228. المصدر السابق، ص124.
229. هناك موارد نادرة يُقتل فيها الأسير بسبب جرائمه أو خطورته، مثلما أمر النبي ﷺ بقتل رجلين من أسرى بدر.
230. راجع جواهر الكلام، ج21، ص126.

لقد كان مسلمو صدر الإسلام من خلال التربية التي تلقوها على يد هذا الدين الخاتم ورسوله الأكرمﷺ، يؤثرون الأسرى بطعامهم، ويقدّمونهم على أنفسهم.[231] وفي وصية علي عليه السلام لأبنائه بشأن كيفية التعامل الحسن مع قاتله ابن ملجم، خير إرشاد لنا في هذا المجال.

ومن المسائل الهامة هنا، ضرورة التعامل بعطف مع الأسرى والحرص على هدايتهم بالشكل الذي يؤدي إلى حدوث تحوّل روحي وباطني لديهم، وإلى انجذابهم نحو الحق؛ وفي ما أرشد به القرآن المجيد النبي الأكرمﷺ على هذا الصعيد مرفقاً ببشارة الرحمة والعفو إلى الأسرى، لنموذج جميل ودليل ساطع على عظمة الإسلام، حيث قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[232]

لقد دعت هذه الآية الأسرى للإسلام، مستفيدة من أفضل طريقة، وألطف كلام وأرحمه.

وفي رسالة إلى المجاهدين، أظهر الإمام الخميني (قده) اهتماماً خاصاً بهذا الأمر، فقال:

"حسبما أعلم، فإن التدين والالتزام بالإسلام الأصيل يقتضي أن يتعامل مجاهدو الإسلام مع أسرى الحرب والفارين، بالرحمة والشهامة الإسلامية، وهم بحمد الله يقومون بذلك. وعلى الرغم من أن سلوك صدام وأتباعه - خلافاً لسلوك المجاهدين - هو سلوك غير إنساني ووحشي، إلاّ أن التذكير والتأكيد مفيد.

231. راجع الكامل، لابن الأثير، ج2، ص131.
232. الأنفال: 70.

يجب على شبابنا والقيّمين على رعاية الأسرى والفارين أن يذيقوهم طعم الرحمة وعظمة الإسلام، وأن يتعاملوا معهم كما تعامل مولاهم وإمامهم العظيم الشأن مع أسوأ خلق الله وأشدهم إجراماً، ابن ملجم لعنة الله عليه، حتى يتمكّن الأسرى الذين تلقوا صدمة روحية من أن يشعروا بالطمأنينة والتلافي في ظل الحكومة الإسلامية، وليصيروا بعد إطلاقهم إلى الحرية من عداد المبلغين - وأحياناً المضحين - للإسلام. وهذه بنفسها خدمة قيمة للإسلام وللجمهورية الإسلامية. وما أكثر ما أرسل هؤلاء الأسرى والفارين إلى الجبهات عن طريق الإجبار، وتهديدهم بالموت هم وأُسَرِهم؛ وهو ما يدّعيه البعض منهم. ولا تظنوا أن تلك الخصلة الإجرامية والوحشية الموجودة في أمثال صدام موجودة فيهم.

وكم هو حسن أن يصنع شبابنا الأعـزاء والقائمون على حراسة هؤلاء المخدوعين، إنساناً إسلامياً وفي خدمة مدرسة القرآن المقدسة من موجود (صدّامي) وفي خدمة الإجرام، وليعلموا أنه ﴿...وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾[233]؛ والهداية هي من أعظم مظاهر الإحياء على الإطلاق".[234]

٦. الإجارة

منذ قديم الأيام، تعد مسألة اللجوء إلى الأفراد أو الأمكنة الآمنة لأجل حفظ الروح، من العادات الموجودة بين أبناء البشر. وقد أدّى هذا الأمر إلى إفلات المجرمين أو الأشخاص غير المذنبين الذين كانوا ملاحقين، من العقاب.

وقد كان اللجوء هذا أمراً رائجاً بين العرب قبل الإسلام، والجميع يعطونه منزلة مهمة. والإسلام بدوره قد أقرّ أصل الإجارة وأكد عليه. وبصرف النظر عن أنواع اللجوء السياسي، ومن ضمن بحث أصول الحرب في الإسلام، نطرح

233. المائدة: 32.

234. صحيفة النور، ج16، ص102.

هذا السؤال ليُشكّل محوراً لبحثنا: هل يوافق الإسلام على إجارة العدو طوال فترة الحرب أم لا؟ وهل يُجيز إلى مدة معينة أن يعمد أفراد من العدو إلى الحفاظ على أرواحهم من خلال هذه الوسيلة؟

وللجواب ينبغي القول إن ما يُستفاد من المصادر الإسلامية هو أن مشروعية إجارة العدو تتمثل في غرضين اثنين:

أ. لسماع كلام الله والاطلاع على معارف الإسلام

ليس للمسلمين من هدف سوى إيصال نداء الفطرة إلى مسامع الناس، وهم لا ينسون هذا الهدف في ميادين الجهاد وثبتوا عليه. ودعوة العدو إلى الإسلام قبل بدء القتال تصبُّ في هذا الطريق، بل حتى لو أنّ شخصاً ادّعى بعد القتال أيضاً أنه لم يسمع كلام الله ثم طلب مهلة وأماناً ليسمع دعوة الحق، فمن الواجب على المسلمين أن يجيروه ويعرضوا عليه أصول الدعوة الإسلامية، ومن ثمَّ أن يعيدوه إلى مكانه سالماً آمناً. يقول تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[235]

وعن أبي عبد الله عليه السلام:

"لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأُناظره فأعطاهُ أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به".[236]

ب. إجارة العدو تؤدي إلى قوة جبهة المجاهدين

في بعض الموارد، يؤدي الإعلان عن الاستعداد لمنح اللجوء إلى أفراد العدو،

235. التوبة: 6.

236. وسائل الشيعة، ج11، ص49.

إلى وقوع الفرقة والتشتت بين صفوف قواته. ومع إجارة عدد منهم فعلياً، تضعف قوته وتنكسر شوكته.

في مثل هذه الموارد التي يعود نفعها على الإسلام، يمكن أن تجار هذه القوات المعادية التي لجأت إلى المجاهدين ـ لا لأجل سماع كلام الحق والإذعان له ـ وإنما لأجل الحفاظ على حياتها، أو إرشادها إلى أماكن آمنة لتلجأ إليها بنفسها، وتحفظَ أرواحها من الهلاك على أيدي القوات الإسلامية.

فعند فتح مكة، أعلن النبي الأكرمﷺ ـ وعلى أثر استسلام أبي سفيان ـ أنّ المسجد الحرام، وكذلك منزلَ أبي سفيان وحكيم بن حزام أماكن يأمن من لجأ إليها على نفسه.[237]

أيضاً، أعلن رسولُ اللهﷺ في حرب الطائف أن كل عبدٍ يلجأ إلى المسلمين ويفرُّ من حصنها، سوف يعتق؛[238] أي أنه بالإضافة إلى قبول لجوئه، سوف تعطى الحرية هدية فوق ذلك.

وللعلامة الطباطبائي في ذيل شرحه للآية السادسة من سورة التوبة، كلام يمكن أن يستفاد منه ما ذكرناه آنفاً، حيث يقول:

"وسادساً: أن الآية إنما توجب إجارة المستجير إذا استجار لأمرٍ ديني يُرجى فيه خير الدين، وأمّا مطلق الإستجارة لا لغرض ديني ولا نفع عائد إليه، فلا دلالة لها عليه أصلاً، بل الآيات السابقة الآمرة بالتشديد عليهم في محلّها"[239].

٧. الصلح ووقف إطلاق النار

الإسلام دين الصلح والهدوء والأمن والمسالمة. وكما مرّ معنا سابقاً، فللحرب

237. مجمع البيان، ج10، ص556. مغازي الواقدي، ج2، ص818.
238. راجع الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج2، ص159-158، دار صادر، بيروت
239. تفسير الميزان، ج9، ص155.

والجهاد بعد محوري يهدف إلى إرساء الصلح وقلع الفتنة وإيقاف الحروب، ولهذا يسعى الإسلام بقدر ما يمكنه إلى منع التقاتل والقتل، وهو لهذا أيضاً يقبل عرض الصلح ووقف إطلاق النار بسهولة عند توفر فرصته الحقيقية. يقول تعالى:

﴿إلاَ الَّذينَ يَصلُونَ إلَى قَوْم بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ميثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتلُوكُمْ أَوْ يُقَاتلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء الله لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبيلاً﴾.[240]

وفي آية أخرى، يقول تبارك وتعالى: ﴿وإن جَنَحُوا للسَّلم فاجنح لها وتوكّل على الله﴾.[241]

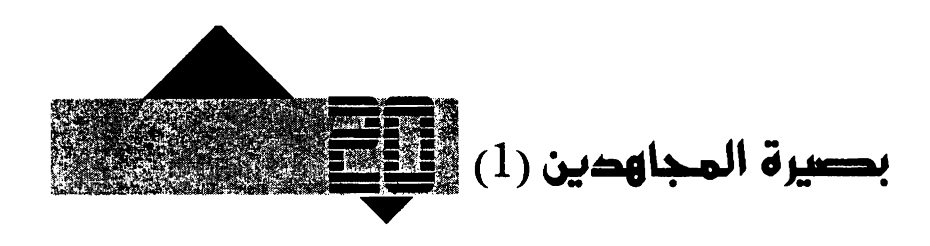
وفي مقطع من عهده إلى مالك الأشتر حينما ولّاه مصراً، يذكر أمير المؤمنين أنه إن كان الصلح لمصلحة مجتمع المسلمين، فيجب قبوله:

"ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك إليه عدوّكَ لله فيه رضى، فإن في الصلح دَعَةً لجنودكَ وراحةً من همومك وأمناً لبلادك..".[242]

240. النساء: 90.

241. الأنفال: 61.

242. نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر (الرسالة 53).



بصيرة المجاهدين (1)

من وجهة نظرِ الإسلام، يجب على المجاهد المسلم إضافة إلى ضرورة حيازة الشروط والصفات الأخلاقية والجسمية اللازمة، أن يتمتع ببصيرة صائبة كي ينظر من خلالها إلى عالم الوجود ومسائل الحياة والتكاليف الفردية والاجتماعية بنظرة مسؤولة، وتستند جميع أعماله ـ لا سيما جهاده ـ إليها.

هذه البصيرة هي عينها تلك التصورات العميقة التي تضمنها الدين الإلهي، والتي قامت عليها دعوة رسول الإسلام العظيمﷺ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[243]

وفي خطبة يصف فيها المجاهدين في عهد النبيﷺ، يشير أمير المؤمنينعليه السلام إلى بصيرتهم ورؤيتهم التي حملوها، فيقول: "**..حملوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا لربهم بأمر واعظهم**".[244]

وقد كان عليّ عليه السلام يفتخرُ بأنه يمتلك هذه البصيرة الصائبة، وفي عدة موارد وصف نفسه بصاحب البصيرة في أمر الجهاد. ومما قاله عند لقائه أهل الجمل:

"**ألاَ وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلَبَ خَيلَهُ ورَجلَهُ، وإنّ معي لبصيرتي: ما لَبَّستُ على نفسي، ولا لُبّسَ عليّ..**".[245]

كذلك، وفي كتابٍ بعث به إلى أهل مصر (بعد أن ولّى عليهم مالك الأشتر)، كتب علي عليه السلام يذكر حربه مع معاوية وجيشه فيقول:

---

243 . يوسف: 108.

244 . نهج البلاغة، الخطبة 150.

245. المصدر السابق، الخطبة 10.

"إنّي واللهِ لَو لقيتُهُمْ واحداً وهُمْ طِلاعُ الأرضِ كلّها ما باليتُ ولا استوحشتُ وإنّي مِنْ ضلالِهِمُ الذي هُمْ فيهِ والهُدى الذي أنا عليهِ، لعَلى بصيرةٍ منْ نفسي ويَقينٍ منْ ربي.." .[246]

دور البصيرة الصائبة

للبصيرة النافذة دور أساسي في زيادة قوة مقاومة المجاهدين. وقد اعتبر القرآن المجيد ضعفها عاملاً لبروز الضعف العسكري، حيث يشير في البداية إلى أن لكل مجاهد مؤمن قدرة مواجهة عشرة أشخاص، لكنه يعود ليقول أنه الآن وبسبب الضعف الذي أخذ طريقه إلى جبهة المؤمنين، قد قُلِّلت القدرة على المواجهة إلى خُمْسِ السابق[247]. ومن المعلوم أن هذا الضعف هو الضعف الناشئ من عدم البصيرة والإيمان الكافيين، وإلاّ فإن مسلمي صدر الإسلام قد زادوا، بعد مضي سنوات قليلة، من قدراتهم وتشكيلاتهم العسكرية، فضلاً عن السلاح والعتاد.

الإنسان البصير مهما تحرك ببطء في مسيره، فحركته تمضي في الاتجاه الصحيح ونحو الهدف المنشود، أمّا الإنسان الفاقد للبصيرة، فمهما زاد من سيره وسرعته، لا يكون قد زاد سوى من بعده عن الهدف. لهذا، وفي إطار بيانه للفارق بين العامل على بصيرة والعامل دونها، يقول علي عليه السلام:

"فإنّ العاملَ بغير علم كالسائرِ على غير طريقٍ فلا يزيدهُ بعدُه عن الطريق الواضح إلاّ بُعداً من حاجته، والعاملُ بالعلم كالسائرِ على الطريقِ الواضحِ فلينظُرْ ناظرٌ أسائرٌ هو أم راجعٌ؟" .[248]

إن تحمل المصاعب في ميدان الحرب إنما يظهر فقط من أولئك الأشخاص

246. المصدر السابق، الرسالة 62.
247. راجع الأنفال: 66-65.
248. نهج البلاغة، الخطبة 153.

الذين سعوا في البداية إلى تصحيح معتقداتهم، حيث لا يمكن الاعتماد في هذا الميدان إلاّ على الإيمان والمقاومة الناشئة من البصيرة. ولهذا السبب، يجب القول إن عماد الجهاد يتشكل من أشخاصٍ تبدّلوا عن طريق امتلاك البصيرة، إلى رجال مؤمنين. كأنهم زُبُر الحديد، بل هم أصلب من الحديد نفسه، تماماً كما وصفهم الصادق عليه السلام بقوله:

"إنَّ المؤمنَ أشدُّ من زُبُر الحديد. إن الحديد إذا دخل النار لانَ، وإن المؤمن لو قُتل ونُشر ثم قُتل لم يتغيّر قلبُه".[249]

في المقابل، يوجد أشخاص بلا بصيرة قد تتسنى لهم فرصة المشاركة على الجبهة، لكنهم وبسبب عدم الوعي، وامتلاك الرؤية السطحية للأمور، يُظهرون الاعتراض، ولا يفكرون سوى في أنفسهم. وقد أشار القرآن المجيد إلى هذه الفئة، فقالَ واصفاً إياهم:

﴿...وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا...﴾.[250]

مظاهر البصيرة

من الواضح أن البصيرة أمر فكري وقلبي يتجلّى ويُعرف عن طريق آثاره وعلاماته. وفيما يلي نماذج من هذه الرؤية الإسلامية الأصيلة التي تمثل أصولاً يُعتمد عليها في جبهات الحق ضد الباطل.

أ. التوحيد الكامل:

إنّ المجاهدَ الذي ينظر إلى هذا العالم بعين مخلوقٍ يعترف ويُقرّ بوجود خالقٍ،

249. بحار الأنوار، ج70، ص178.
250. آل عمران: 154.

ليس فقط يرتبط ظهور العالم بلطفه وفيضه فحسب، بل ديمومة الحياة فيه لحظة بلحظة أيضاً، خالقٍ لا يوجد منبع للقدرة والكمال في العالم سواه، خالقٍ لا معتمَد غيرُهُ، خالقٍ وصفَ نفسه بأنه ناصرُ المؤمنين والمجاهدين في سبيله، وعدوُ الظالمين والمشركين، خالق يملي لهؤلاء ويكيدهم.

إن المجاهد الذي يمتلك مثل هذه الاعتقادات، غايته هي الوصول إلى قرب الله وجلبِ رضاه. فالإيمانُ، وأداءُ الأعمال الصالحة ـ ومن جملتها ذهابُه إلى الجبهة وقتالُه ـ كل ذلك لأجل نيل جوار الحق سبحانه.

في هذا المسير، لا يسعى هذا المجاهد وراء الأهداف المادية، بل وكما أشار القرآن المجيد، يتقدم لقطع الطريق إلى الله، ودافعه هو إيمانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[251]

مثل هذا المجاهد قد رضي بقضاء الله وقدره، وأمله الوحيد في مصاعب الحرب وشدائدها هو الله. عليه يتوكل فلا يستمد العون من غيره، ويعتقد أن كل ما يظهر في ساحة الوجود ليس سوى إرادة المولى تبارك وتعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[252]

بدورها، كثرة العدو وصخبه الإعلامي لا تخيف المؤمن ولا تردعه عن هدفه، بل تجعله أكثر ثباتاً. وفي هذا المجال، أشار القرآن الكريم إلى مجاهدي الإسلام الأوائل، فوصفهم بقوله:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[253]

هؤلاء المجاهدون، لو نالوا النصرَ رأوهُ من عند الله، واعتبروا أن الله

251. النساء: 76.

252. التوبة: 51.

253. آل عمران: 173.

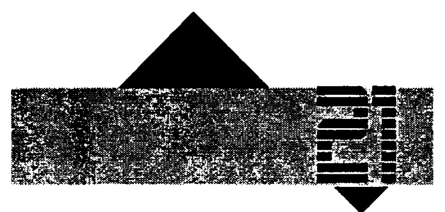
هو الناصر، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ به: ﴿...وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.[254]

وإنْ ابتلوا بالشدائد، والهزيمة الظاهرية، ومصائب الدنيا، كان لهم في توحيدهم خير تسلية وعزاء، ولا يدعون لليأس والندم على أفعالهم طريقاً إلى نفوسهم، تماماً كما أظهر الحسين عليه السلام الصبر أمام كل تلك المصائب والآلام والبلاءات، وقال: "**هوّن ما نزلَ بي أنّه بعينِ الله**".[255]

إن بصيرة هؤلاء المجاهدين قد أوصلتهم إلى مرحلة لا يُبتلون معها بالغرور والعجب والمفاسد الأخلاقية، لأنهم ـ وبناءً على التوحيد الأفعالي ـ يرون كلَّ الأسباب والمسببات في العالم تحت نظر الحق وسلطته، ويعتقدون بأن جميع الأمور هي بيد الله، وأنهم ليسوا سوى وسائط، فإن هزموا العدو في الحرب، كانوا مجرد منفذين لإرادته:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ...﴾.[256]

254. آل عمران: 126.
255. بحار الأنوار، ج45، ص46.
256. الأنفال: 17.



بصيرة المجاهدين (2)

ب. آداء التكليف

نظراً لأن المجاهد المتبصر يرى نفسه عبداً لله الذي خلَقَه، وأنّ في وجوده في هذه الدنيا امتحاناً واختباراً له، فهو يفكر فقط في كيفية آداء التكليف، ولا معنى للنصر أو الهزيمة، للعيش أو للموت، بالنسبة إليه. وهو إن سعى لأجل انتصار الإسلام والمسلمين، أو لحفظ حياته في بعض الموارد، فلأجل آداء التكليف كذلك، لا لأجل تأمين أهدافه الشخصية.

هذا المجاهد يفكر فقط في دينه، ويُجهد نفسه كي تعلو كلمته، ولا تؤثر شهادة إخوانه المجاهدين وأحبائه سلباً عليه وعلى دوافعه، بل حتى أن قتْلَ قائده لا يدعوه إلى أن ينقلب على عقبيه، لأنه قد تعلّم من القرآن أنّ الهدف باق، على الرغم من شهادة القائد في هذا الطريق:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.[257]

وسوف لن تُخرج الحرب النفسيةُ والإعلامية للعدو مثل هؤلاء الأفراد من الساحة، وهو ما ظهر في معركة أُحُد، حيث وعلى إثر انتشار شائعة مقتل النبيﷺ وفرار الكثير من المسلمين، حضر أحد أصحابِ النبيّ واسمه "أنسُ بن النَّضِر" ـ والذي كان مجاهداً ذا بصيرة ـ بين أولئك الفارين، وقال:

"يا قوم إن كان قد قُتل محمدٌ، فربُّ محمد لم يُقتل. وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله، وموتوا على ما مات

---

257 آل عمران: 144.

عليه.. ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل..".[258]

ولقد شوهد مثل هؤلاء المجاهدين الذين لا يفكرون سوى بأداء التكليف بوفرةٍ بين القوات الإسلامية طوال سنوات الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية، والذين على الرغم من عدم التكافؤ في العتاد، وتعرضهم للحصار، لم يَهنوا أو يستسلموا، وصمدوا حتى النهاية، وآثروا الشهادة بشوق على البقاء في هذه الدنيا، عسى أن يكونوا قد وفقوا في آداء تكليفهم الشرعي.

ج. معرفة الزمان

من لوازم العقيدة الصحيحة، وجود البصيرة السياسية التي تصون الإنسان المؤمن عن السقوط ضحية للمؤامرات. وعليه، فمعرفة الزمان والظروف الخاصة لكل عصر، ومعرفة الصديق والعدو، ومعرفة خطط العدو الشيطانية، تعدُّ كلُّها جزءً من البرامج الأساسية للمؤمن.

إن تبديل العدو لأساليبه لا تجعلُ المؤمنَ يشتبه، ولا تؤثر فيه دعايات العدو، ولا يُسئمه طول مدة الحرب ويتعبه. مثل هذا المجاهد يأخذ العبر من الحوادث المُرَّة والحلوة التي تقع، ويَجِدُّ من أجل اكتساب التجارب، ولا تزلزله وساوس المثبّطين بل يقف بثبات وشجاعة.

في واقعة الجمل، نشاهد نموذجاً من التاريخ لهؤلاء المجاهدين. أشخاصٌ وقفوا في وجه طلحة والزبير وعائشة، ولم تستطع سابقتهم في الإسلام، أن ترمي بهم في أحضان الخديعة؛ وقد كان هذا العمل أمراً صعباً جداً.

يقول علي عليه السلام واصفاً الموقف آنذاك:

"ولا يحملُ هذا العلمَ إلاّ أهل البصر والصّبر والعلمِ بمواقع الحق".[259]

---

258. مجمع البيان، ج1 و2، ص513.
259. نهج البلاغة، الخطبة 172.

إن سطوع نور هذه العناصر الواعية قياساً بضعاف النفوس الذين وقعوا في حيرة الضياع والشبهة خلال المعركة، ولم يعرفوا الحق إلى جانب من كان، لهو ظاهر بوضوح. أحدُ الأشخاصِ جاء إلى عليٍّ عليه السلام وسأله: أيمكن أن يكون طلحة والزبير وعائشة على الباطل؟ فأجابه عليه السلام بجواب بيّن له فيه طريق اكتساب البصيرة، وقال:

"إنك لملبوس عليك. إن الحق والباطل لا يُعرفان بأقدار الرجال. إعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف أهله".[260]

وعليه، فالميزان الحقيقيُّ هو معرفة الحق، ومن ثمَّ عرضُ الناسِ عليه، وليس العكس.

نموذج آخر لأفراد بلا بصيرة هم الخوارج. فنظراً لسقوطهم في فخ حيل معاوية وعمرو بن العاص، نتيجة عدم معرفة طبيعة الزمان والحق من الباطل، فقد انحرفوا ومن ثم خرجوا عن طريق الهدى، ووصلوا إلى مرحلة حاربوا فيها علياً عليه السلام، وهو ما صبَّ في مصلحة معاوية.

إنّ معرفة الزمان وأحداثه في العالم المعاصر، ومعرفة المكانة الواقعية للثورة الإسلامية، مع أخذ الحيل المعقدة والخبيثة للاستكبار العالمي إضافة إلى أعداء الداخل والخارج، جميعها تفرض علينا ضرورة امتلاك تصور صحيح وبصيرة حساسة في شأن الزمان الذي نعيش فيه وما يجري فيه من مسائل سياسية.

يقول قائد الثورة الإسلامية، ولي أمر المسلمين ومرجعهم سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)، حول هذا الموضوع:

"هناك أمران ينبغي إيلاؤهما أهمية تفوق ما نوليه عادةً لسائر الأمور. وأحد هذين الأمرين هو إكمال معرفتنا بالظروف المحيطة وبالزمان (الذي

260. أنساب الأشراف، للبلاذري، ج2، ص239-238، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

نعيش فيه)، إضافة إلى امتلاك تحليل صحيح للأحداث، حيث يؤدي افتقاده إلى وقوع المشكلات. إن الإيمان الراسخ قد ينجر إلى الجهة المعادية بسبب عدم وجود الوعي والبصيرة والتحليل الصحيح للوقائع، تماماً كما حدث في قضية الخوارج.

لقد كان أكثر الخوارج يمتلكون إيماناً ثابتاً لكنهم لم يتمتعوا بالوعي والنورانية والمعرفة ولذا وقفوا في وجه أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا هو الحال نفسه في الأحداث التي جرت مع الإمام الحسين‎عليه السلام.. وكذلك في القضايا التي حصلت بعد هذا في عهود الأئمة‎عليهم السلام حتى سنة ٢٦٠هـ، أي سنة رحيل الإمام العسكري عليه السلام. فكل ما حدث لم يكن بسبب عدم امتلاك الإيمان، بل إن قسماً مهماً مما جرى كان ناشئاً من عدم الوعي والفهم الصحيح للأحداث..".[261]

د. النظرة إلى الموت والشهادة

إنّ المجاهد المؤمن الذي ينظر إلى هذا العالم وعالم الآخرة من خلال العقيدة الإلهية، ويرى أن الموت ما هو إلاّ جسر للعبور من هذه الدار إلى تلك الدار، يتباعد الخوف من الموت عن نفسه، وهو ليس فقط لا يخشى الموت، وإنما يسرع إلى استقباله في بعض الموارد.

بالنسبة إليه، يعد الموت خاتمة العذابات، ومفتاح الإذنِ في الدخول على الحضرة الإلهية؛ وبهذه الفلسفة تُحلُّ مسألة الموت لديه، وخلافاً لمنكري القيامة، لا يعتريه أدنى اضطراب أو خوف.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يسرع إلى قتال العدو في أشد الميادين صعوبة. وفي جوابه لأولئك الذين ظنّوا أنه كان يتباطأ في حرب أهل صفين خوفاً من

261. صحيفة الجمهورية الإسلامية، بتاريخ 28/6/1371هـ.ش.

الموت، قال عليه السلام:

"أمّا قولكم: أكُلُّ ذلكَ كراهيةَ الموتِ؟ فوالله ما أبالي دخلتُ إلى الموتِ أو خرجَ الموتُ إليّ".[262]

بهذه النظرة، كانَ مسلمو صدرِ الإسلام يذهبونَ للقاءِ الموتِ. ولهذا السبب عينِه، لم يجعلوا للخوفِ من العدّو طريقاً إلى قلوبهم. وحينما سأل أحد حملة الرايات في جيش الكفر أصحابه بعد هزيمة بدر، أنه ما السبب الذي جعلكم تهزمون على يد المسلمين مع كل هذه العدة والعتاد، أجابه شخص من بينهم: لقد كان السر في ذلك أن لكل واحد منا كان يحبُّ أن يُقتل صاحبُه قبلَه، في حين كان كل واحدٍ من المسلمين يحبُّ أن يُقتل هو قبلَ صاحبه.[263]

ومع أن المجاهدين قد أعدوا أنفسهم لأي نوع من أنواع الموت قد قُدِّرَ لهم، وهم راضون بذلك، إلاّ أنهم يعشقون أن يكون خروجهم من هذا العالم عن طريق الشهادة، وأن يختموا حياتهم في هذا العالم بهذا الشرف العظيم. والإمام علي عليه السلام الذي كان يَعدُّ الأيام شوقاً إلى هذه الأمنية، يقول: **"إن أكرمَ الموتِ القتلُ، والذي نفسُ ابن أبي طالب بيده لألفُ ضربة بالسيف أهونُ عليَّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله".**[264]

وفي آخر عهده لمالك الأشتر، يتمنى من الله لنفسهِ ولصاحبه الوفيّ أن يرزقهما الشهادة في سبيله، فيقول: **"وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قُدرته على إعطاء كل رغبة.. وأن يختمَ لي ولك بالسعادة والشهادة".**[265]

وما في سيرة المعصومين عليهم السلام من استقبالهم الشهادة بصدر

262. نهج البلاغة، الخطبة 54.
263. راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ج3، ص213 نقلاً عن سنن البيهقي، ج8، ص176.
264. نهج البلاغة، الخطبة 122.
265. المصدر السابق، الرسالة 53.

مفتوح، يحكي عن سمو مقامها وعظمة منزلتها في معتقدهم. فقد نُقل بشأن الإمام الحسين عليه السلام أن وقاره وطمأنينته كانا يزدادان، ووجهه يتلألأ بالنور أكثر، مع اقترابه من الشهادة يوم عاشوراء.[266]

إن التسابق إلى الشهادة بين جُندِ صدر الإسلام المضحّين، وكذلك بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، ومجاهدي الإسلام خلال الحرب المفروضة، كان ناشئاً من إدراك هذه الحقيقة، والتي قد استلهموها من آيات القرآن الكريم وسيرة المعصومين عليهم السلام، حيث كانوا يعلمون أن الشهادة هي أفضل أنواع الموت بين يدي الله تبارك وتعالى.

وفي النزاع الذي وقع بين خيثمة وابنه على المشاركة في حرب بدر ولإدراك الشهادة، نموذج من نماذج وعي هذه الحقيقة، حيث وعلى إثر إجراء القرعة، خرج اسم ابن خيثمة، فشارك في المعركة واستشهد.

وبعد انتهاء القتال، تشرّف والده بلقاء النبي الأكرمﷺ وطلب منه أن يدعو له كي يفوز بالشهادة هو الآخر، فدعا له واستشهد لاحقاً في معركة أُحد، فنال ما تمنى.[267]

إن أفضل كلام على الإطلاق يبين حقيقة نظرة المؤمن نحو الشهادة، هو حديث زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد لعنه الله عندما سألها ذلك الخبيثُ قائلاً: كيف رأيتِ فعلَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فأجابته: **ما رأيت إلاّ جميلاً**.[268]

ومعنى هذا الكلام، أن شهادة جميع الشهداء في كربلاء، وسبيَ النّساء والأطفال، وغير ذلك من الأمور هي جميعاً من وجهة نظر السيدة زينب عليها السلام، أمورٌ يجب على كل مؤمن تصادفُه أن يستقبلها ويتقبّلها بصدر واسع، ويراها حسنة وجميلة.

266. راجع الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر الشوشتري، ص71، دار السرور، بيروت.
267. راجع بحار الأنوار، ج20، ص125.
268. المصدر السابق، ج45، ص116.

هـ. النظرة إلى النصر

إنّ المجاهدَ المؤمنَ يرى النصر في العمل بالتكليف، سواء وصل إلى النتيجة الظاهرية لجهاده أم لا. وفي المقابل، لو قصّر في أداء تكليفه، فإنه يعتبرُ نفسه مهزوماً حتى لو تمكن من الانتصار على العدو في الظاهر.

وقد تعلم المؤمنون هذه النظرة من القرآن المجيد، الذي يطلب منهم أن يقولوا في جواب الكافرين والمنافقين الذين قعدوا ينتظرون ما سيؤول إليه أمرهم، أننا في مطلق الأحوال أمام أحد مصيرين، كلاهما حسن ومحمود:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.[269]

وفي وصية له إلى رجل جاءه يطلب المشاركة في الجهاد، أشار النبي الأكرمﷺ إلى هذه الحقيقة، وهي أن المجاهد سواء استُشهد أو رجع سالما، فقد فاز بخير عظيم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

"فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تُقتل كنت حيّاً عند الله ترزق، وإن متّ وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله". [270]

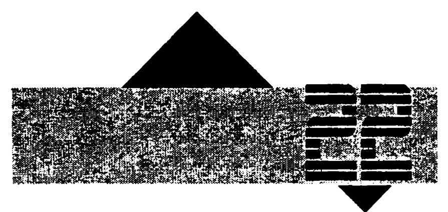
بناءً على ذلك، لا معنى للهزيمة بالنسبة للمجاهد، إذ قد اطمأن إلى وعد الله بالنصر وبعلو شأنه وأصحابه، وقد أشار القرآن المجيد إلى هذا الوعد بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[271]

وهذا العلو متحقق حتماً في كلا الحالين ـ النصر أو الشهادة ـ والغلبة دوماً هي للمؤمنين على الكافرين.

---

269. التوبة: 52.
270. ميزان الحكمة، ج2، ص127.
271. آل عمران: 139.



الخصائص العامة للمجاهدين

يتمتع المجاهد المسلم من وجهة نظر القرآن بخصائص تميزه عن الآخرين. ونحن سوف نعرض في هذا الفصل لتلك الخصائص العامة، وفي الفصل التالي سوف نتناول بالبحث المميزات الخاصة للقادة ومرؤوسيهم.

الخصائص العامة

لقد بشّر القرآن الكريم المجاهدينَ بأنفسهم وأموالهم ضد أعداء الحق، سواء منهم الذين يَقتلون أم يُقتلون، بأن الله قد اشتراها منهم، وليس ثمنها إلاّ الجنة خالدين فيها أبدا.[272]

وقد سُئل الصادق عليه السلام هل أن وعدَ القرآن هذا هو وعد عامٌ يشمل كل مجاهد، أم أنه وعد للمجاهدين الذين يتحلّون بخصائص محددة؟ فأجاب الإمام عليه السلام:

حينما نزلت هذه الآية، سأل بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله هذا السؤال عينه، لكنه لم يجبهم إلى أن أنزل الله بعدها هذه الآية الشريفة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[273]. لقد أوضح الله في هذه الآية صفات المؤمنين الذين قد اشترى أنفسهم وأموالهم (بقبال الجنّة).

وعلى كل طالب للجنة أن يجاهد في سبيل الله متصفاً بهذه الشروط، وإلاّ

---

272. التوبة: 111. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

273. التوبة: 112.

فسوف يكون من الأشخاص الذين قال النبيﷺ بحقهم: إن الله لينصر هذا الدين بقوم لا ينتفعون من عملهم في شيء.[274]

انطلاقاً من هذه الآية ـ وآيات أخرى ـ سوف نشير إلى الخصائص العامة للمجاهدين:

١. **التوبة:** ترك الإنابة إلى كل شيء سوى الله، والرجوع إلى محضر الحق، وطلب المغفرة دوماً لكل زلل أو خطأ أو ادعاء، والسعي في تعويض التكاليف التي فاتت.

٢. **العبادة:** التوجه بقدم العبودية إلى الله وحده، وترك طاعة غيره.

٣. **الحمد:** دعوة الله بأوصافه الجميلة وأسماءه الحسنى، والثناء عليه.

٤. **التردد إلى المساجد:** إذ فيها يُعبد الحق سبحانه ويطاع.

٥. **الخضوع والركوع:** أمام الأوامر الإلهية، بروح الإذعان والتسليم الكامل.

٦. **السجود وإظهار الذلّة:** بوضع الجبهة على تراب، المذلّة لله تعالى، إظهاراً للفقر المطلق بين يديه سبحانه.

٧. **الأمر بالمعروف:** العمل على نشر الفضائل وتوعية عباد الله الضالين.

٨. **النهي عن المنكر:** العمل على اقتلاع المفاسد وزعزعة أرضية وجودها والمنع من انتشارها.

٩. **حفظ الحدود الإلهية والوقوف في وجه التعدّي على حريم الحق**

ويعتبر العلامة الطباطبائي أن الخصائص الست الأول هي خصائص فردية

274 . لم يذكر مصدر هذا النص في النسخة الفارسية.

للمجاهدين، وأن خاصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي خاصية عامة شاملة لمجموعهم، في حين أنّ حفظ الحدود الإلهية مرتبط بآحادهم كما هو مرتبط بمجموعهم، أي أنه ينبغي على المجاهدين أن يلتفتوا إلى رعاية الحدود الإلهية بشكل فردي وبشكل جماعي أيضاً.[275]

١٠. التوكل والتضرع

يقاتل المجاهدون المسلمون لنيل رضا الله تعالى وقلع جذور الظلم والشرك، وفي هذه الحرب وحدَهُ الله هو معتمدهم. يؤمنون بنصره وعونه، ويعتقدون أنه يدافع عن الذين آمنوا لأنه مولاهم[276]. ولهذا فهم يتوكلون عليه[277]، ويتوسلون إليه في جميع مواقف الحياة ـ ومنها مشاهد القتال والمواجهة ـ ويطلبون منه القوة والغلبة:

﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[278]

١١. ترجيح الآخرة على الدنيا

من الخصائص الأخرى للمجاهدين اصطفاء الآخرة على الدنيا، حيث يقول تعالى في القرآن المجيد: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ...﴾.[279]

هذه الآية تدل بصراحة أن الإنسان ما لم يَشْرِ الحياة الدنيا بالآخرة، ولم يزهد فيها ويجعلها تحت قديمه، فلن يستطيع أن يكون من بين عداد المجاهدين في سبيل الله، طبعاً، المقصود هو ترك التعلق بالدنيا، لا ترك الاستفادة منها في الظاهر.

275. بالاستفادة من تفهيير "الميزان"، ج9، ص396.
276. الحج: 38. ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.
277. آل عمران: 160. ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
278. البقرة: 250.
279 . النساء: 74.

١٢. تحمّل مصاعب المواجهة

من الخصائص البارزة للمجاهدين تحملهم وصبرهم الذي يفوق العادة، أمام مصاعب الجهاد. في قصة طالوت، يشرح القرآن كيف أنه ولأجل اختبار قدرة جنوده على تحمل الشدائد، قال لهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾.[280]

ما ذكره طالوت لجنوده هو أنكم ستصادفون نهراً في مسيركم، ومع أن وعورة الطريق وثقل السلاح وحرارة الشمس قد جعلتكم تعطشون بشدة، إلاّ أنه ينبغي عليكم أن تقاوموا، وكل من لم يفعل فيشربُ حتى يرتوي، لن يتمكن من أن يكون مجاهداً حقاً. وحدهم من لا يذوقون هذا الماء هم المجاهدونَ الحقيقيون والأنصار، وأما الفئة الثالثة الذين لا يشربون لكنهم يحملون بأيديهم كفّاً من الماء ليخففوا عن أنفسهم شدة العطش، فهؤلاء مع أنهم ليسوا مجاهدين حقيقيين، إلاّ أنهم ليسوا مطرودين بالكامل من ساحة الجهاد.[281]

لقد أظهر مجاهدو صدر الإسلام بشهادة التاريخ صبراً وتحمّلاً كبيرين، واستلانوا كثيراً من مصاعب الحرب والجهاد.

أحد أبرز هذه المواقف كانت حربَ "تبوك"، فقد كان خروج المسلمين من المدينة في فصل الصيف وتحت وطأة القيظ الشديد، ولم يكن معهم من العدة والعتاد ما يكفي في حين أن الأخبار الواصلة أفادت عن حشود هائلة للعدو، وامتلاكه لقوة وعتاد كبيرين. كذلك، كان الطريق إلى "تبوك" طويلاً جداً تتخلله صحارى واسعة وقاحلة ليس فيها أثر للماء أو الحياة.. ومع ذلك تعبّأ المؤمنون المجاهدون من الأنصار والمهاجرين للخروج، بناءً على أمر الرسولﷺ، وتوجهوا

---

280. البقرة: 249.

281. بالاستفادة من تفسير "الميزان" ج2، ص292.

للقاء العدو متحملين أصعب الظروف. ولهذا السبب شملتهم رحمة الله تعالى حيث أنزل بحقهم قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ..﴾.[282]

١٣. الشجاعة

تعد الشجاعة النادرة أو التي لا نظير لها من الخصائص الجليّة للمجاهدين وهم لا يجعلون لصفات الخوف والهلع، الشك والحيرة، الاضطراب والضياع، طريقاً إلى نفوسهم، بل يعيشون الطمأنينة والسكينة والصمود والوقار ـ وباختصار ـ الصلابة والشجاعة. فهم قد رأوا في الله منشأ القدرة الحقيقية والمطلقة، واعتمدوا عليها، ولذلك فهم يتمتعون أنفُسهم بقدرات تفوق المعتاد.

١٤. الرحمة بين المؤمنين والشدة على الكافرين

يقول تعالى: ﴿..أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ...﴾[283] هذه الميزة ـ كما بيّن القرآن المجيد ـ هي ميزة النبيﷺ وأصحابه، حيث قال تعالى أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..﴾،[284] فالمؤمنون يتجاوزون عن بعضهم البعض. أما في مواجهة الأعداء، فليس المطلوب فقط هو أن يتصرفوا بنحو يقطع الطمعَ فيهم ويمنعُ عن سوء الاستفادة من أخلاقهم الحميدة فحسب، بل ينبغي على المؤمنين أن يُظهروا الشدّة والقسوة حتى يخافهم العدو ويخشاهم، وبتعبير القرآن الكريم:

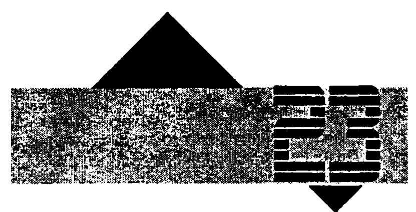
﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾.[285]

فسلوك التفاخر الذي يُعتبر مذموماً بين المؤمنين وغير جائز، يعد عند لقاء

282. التوبة: 117.
283. المائدة: 54.
284. الفتح: 29.
285. التوبة: 123.

العدو أمراً جائزاً تماماً، مثلما حدث عندما خرج أبو دجانة الأنصاري يمشي متبختراً متباهياً أمام جموع المشركين، فقال النبيﷺ: **"إن هذه لمِشيةٌ يُبغضها الله عز وجل إلاّ عند القتال في سبيل الله"**.[286]

286. وسائل الشيعة، ج11، ص9.



خصائص القادة والمرؤوسين العسكريين

خصائص القادة:

من اللازم للقادة العسكريين في جيش الإسلام أن يتحلوا بالصفات العامة المذكورة بصورة أفضل من الآخرين، وأن يكونوا أكثر تمسكاً بها.

وإضافة إلى تلك الصفات العامة، هناك سلسلة من المميزات الخاصة التي ينبغي أن يتحلّوا بها أيضاً، من جملتها:

١. المعرفة والقدرة الكافيين

إنّ تولي مسؤولية القيادة في نظر المجاهدين هي تكليف شرعي، وليس مقاماً ولا منصباً يتسلمونه. من اللازم أن يُعهد بهذه المسؤولية إلى شخص حائزٍ على العلم والتدبير والقدرة المطلوبة، كي يتمكن من تحمل أعبائها الخطيرة.

صحيح أن لكل رتبة من القيادة ما يناسبها من العلم والتدبير، إلاّ أن امتلاك ذلك يعدُّ ضابطة كلية ينبغي المحافظ عليها دائماً ورعايتها.

فحينما عيّن نبي بني إسرائيل طالوت ملكاً عليهم وقائداً لهم، شككت فئة من ضعاف الإيمان بمدى صلاحيته لتولي هذه المسؤولية، بحجة أنه لا يملك مالاً ولا جاهاً، فأجابهم نبيهم:

﴿...إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾.[287]

وهذا البسط العلمي والجسمي هو نفس تلك القدرة الجسمية والحنكة العسكرية اللذان ينبغي وجودهما كميزة ضرورية في قادة جيش التوحيد.

---

287. البقرة: 247.

٢. السبقُ في الميدان

يمتاز القائد المسلم بالسبّاقية في ساحة الحرب، وفي تحمّل المصاعب والمشكلات. ولذا، يكلّف القرآن المجيد شخص النبيّ صلى الله عليه وآله أن يقاتل العدو ـ ولو منفرداً ـ إذا لزم الأمر، ويدعوه إلى ترغيب الآخرين بذلك وتحريضهم عليه، حيث يقول تعالى:

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾.[288]

ويقول الإمام عليّ عليه السلام:

"كُنّا إذا احمَّر البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه".[289]

وقد ورث قادة جبهة المسلمين هذه الميزة كذلك عن نبيهم، فيتقدمون بقية المجاهدين لاستقبال الخطر، ويُشرِّعون صدورهم لتلقي سهام العدو.

٣. الرحمة والمحبة

تُعتبرُ المحبّة والرحمة لمن هم تحت ولايتنا، صفةً ضرورية للقيادة عموماً، وقد عدّها الإسلام من خصائص القادة المجاهدين. فوجود هذه الصفة في القائد يبعث على محبة الآخرين له، ويدفع من هم تحت إدارته إلى تنفيذ أوامره باندفاع ورغبة. وقد أشار الله تعالى في سياق آيات الجهاد في القرآن إلى هذه الميزة في نبيه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ... ﴾.[290]

288. النساء: 84.
289. بحار الأنوار، ج16، ص232.
290. آل عمران: 159.

٤. العفو والتجاوز

من الممكن أن يرتكب المرؤوسون العسكريون خطأً ما على إثر الجهل أو الغفلة. ومع أن التذكير والتأنيب والتنبيه أمور لازمة، إلاّ أن خاصيّة العفو والتجاوز هي من ضروريات القيادة، ولا يجب لمجرد تقصير أو مخالفةٍ، طردُ مجاهد شجاع وإبعاده، بل ينبغي بعد التنبيه، غض الطرف عما ارتكبه، ومنحه الفرصة لكي يُظهر قدراته واستعداداته. يقول تعالى لنبيه ﷺ:

﴿...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾.[291]

هذه الآية الشريفة تتحدث عن واقعة أُحد، يطلب الله فيها من رسوله بصفته القائد العسكري أن يتجاوز عن خطئهم (في المعركة) وأن يستغفر لهم، ويثيبهم من خلال إجراء المشورة معهم، وأن يستفيد من قدراتهم وقابلياتهم!

فعن طريق استشارة مرؤوسيه ـ لا سيما بعد العفو عن أخطائهم ـ يشجع القائدُ هؤلاء المجاهدين على الفداء والمقاومة والتضحية، ويجعلُ منهم شركاء حقيقيين في الانتصارات والهزائم، ويرفع من إحساسهم بالمسؤولية والإلتزام.

٥. القدرة على اتخاذ القرار

يجب أن يكون العزم على تحديد الخطوات المطلوبة في ساحة الحرب، بيد القائد وحده، وهو أحد ما يستفادُ من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[292]

بناء عليه، ينبغي أن يتمتع القائدُ بقدرةٍ رفيعة على أخذ القرارات، كي يتمكن في الأوقات اللازمة ـ خصوصاً في الظروف الحسّاسة والعصيبة من اتخاذ القرار الصائب، ولا يُضيّع الفرصة الموجودة من يده، بسبب التردد والحيرة.

291. آل عمران: 159.
292. آل عمران: 159.

خصائص القائد في كلام الإمام علي عليه السلام

لقد عرضَ أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر لميزاتٍ ينبغي أن تتوفرَ في شخصية القائد، وهي عبارة عن:

١. أنصحُ من الباقين لله وللرسول وللإمام.

٢. طاهرُ القلب ونقي الصدر.

٣. أفضلُ الجميع في التحمّل والصبر.

٤. بطيء عن الغضب.

٥. رؤوف بالضعفاء.

٦. شديدٌ على المتسلطين (والطغاة)، أبيٌّ.

٧. لا تزلزله الأحداث الصعبة والمعقدة.

٨. لا يقعدهُ ضعف القدرة والنصرة.[293]

هذه المميزات هي من أهم الخصائص المطلوبة للقادة في جيش الإسلام، ولقد ظهر على مرّ التاريخ الإسلامي قادة حازوا مثل هذه الخصائص بأتم درجة وأفضل صورة، وقد شهدت إيران الإسلام خلال سنوات الحرب المفروضة ظهور قادة عظماء، تجلّت فيهم هذه المميزات بوضوح.

خصائص المرؤوسين العسكريين

بالإضافة إلى الخصائص العامة، يقعُ على المرؤوسين العسكريين سلسلة من التكاليف تجاه قادتهم، والتي تفترض ـ بناءً عليها ـ أن يتحلّوا بمميزات خاصة. وفيما يلي نشير إلى عدد من أهم هذه المميزات:

---

293. نهج البلاغة، الرسالة 53.

١. الطاعة والانقياد

على ضوء الرؤية الإسلامية، والتي تولي مسؤولية القيادة العامة للقوات المسلّحة للنبي أو الإمام المعصوم، أو لنائبي الإمام الخاص والعام، ترى جميع القوات الموضوعة في الخدمة أمر طاعة القائد تكليفاً شرعياً؛ وهي لهذا السبب لا تستحلُّ أي نوعٍ من أنواع التقصير.

هذه القوات المجاهدة تعتبر إطاعة القادةِ عبادة شرعية، وهي لهذا أيضاً تتسابق في زيادة درجة انقيادها. وقد صرح القرآن المجيد بأنّ إطاعة القيادة هي من صفات المؤمنين الحقيقيين، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.[294]

لقد نزلت هذه الآية بشأن الحرب، والمقصود من "الأمر الجامع" هو الجبهة والقتال.[295]

وقد تزين المؤمنون المخلصون في صدر الإسلام بهذه الخاصية، حيث كانوا يظهرون الطاعة المطلقة للنبيﷺ، الخالية من أي قيد أو شرط. فبعد أن طلب النبيﷺ من أصحابه أن يُبدوا ما عندهم بشأن مواجهة الكفار في معركة بدر، وقف سعد بن معاذ وقال: "**فامضِ يا نبي الله! فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ هذا البحر فخضتهُ لخضناهُ معك**".[295]

نموذج آخر من هؤلاء الرجال الإلهيين كان حجر بن عديّ، والذي قال لقائده أمير المؤمنين عليه السلام: "**يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقّحُها ونُنتجها، قد ضارسَتْنا وأَزمَّتُنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرّقتَ وإن غرّبت غرّبنا، وما أمرتنا به من أمرٍ فعلناه**".[296]

---

294. النور: 62.
295. مغازي الواقدي، ج1، ص49، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
296. أعيان الشيعة، ج4، ص572، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

ومع أن طاعة القيادة موجودة لدى القوات العسكرية غير المسلمة، لكنّ الفارق بينها وبين المجاهدين هو أنّ هذه الطاعة إنما تؤدي من قبل المجاهدين بقصد العبادة، وانطلاقاً من الإخلاص، في حين أنه في تلك الجيوش لا توجد مثل هذه النية، وما يدفعهم للطاعة هو إجبار الحكام لهم على ذلك.

٢. عشق القائد

إضافة إلى الطاعة، يُظهر المجاهدون محبة من أعماق القلب وصميم الفؤاد لقادتهم. وحين لا يكون هؤلاء المجاهدون مكلفين أو في وقت خدمتهم بل وأثناءَ حياتهم الخاصة وأمورهم الفردية، يعود الإيثار ليتجلى من جديد، وتدفعهم محبتهم ليقدّموا قادتهم على أنفسهم في مواقف سامية مليئة بالصفاء والعشق. وللمثال نذكر هذه القصة: حينما كان جيش رسول الله ﷺ يتحرك نحو تبوك، تأخر أبو ذر ثلاثة أيام عن مسير أصحاب النبي ﷺ، ولم يعد أحد يعلم عنه شيئاً، إلى أن لمح المجاهدون في اليوم الثالث ـ عند الظهر ـ رجلاً يتجه نحوهم على أقدامه، قد أصاب قامته الإنحناء، وبدنه منهك لشدة التعب، لا يكاد يقوم على رجليه حتى يسقط من جديد. قال النبي ﷺ: "**كن أبا ذر**" وما هي إلاّ لحظات حتى أقبل عليهم. فقال النبي ﷺ: "**أدركوه بالماء فإنه عطشان**"، فوافى أبو ذر رسول الله ومعه إدواة فيها ماء، فسأله ﷺ: "**يا أبا ذر معك ماء وعطشت؟**" فقال: "**نعم يا رسول الله. بأبي أنت وأمي! انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته، فإذا هو عذب بارد، فقلتُ: لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله ﷺ**".[297]

وفي موقف عاشوراء تجلت أيضاً نماذج كثيرة من عشق معسكر الإمام الحسين عليه السلام لقائده، والتي كان من أهمها تحمّل العطش وعدمُ شرب الماء من

297. بحار الأنوار، ج21، ص216-215.

قبل أبي الفضلعليه السلام عند شط الفرات. فمع وجود الماء في متناول يده عليه السلام وعطشه الشديد، فقد امتنع عن شرب الماء بسبب عطش الإمامعليه السلام وعياله.

نموذج آخر من ملحمة عاشوراء، كان كلمات أصحابهعليه السلام، والتي أعلنوا فيها عن وفائهم له، فبعد أن سمعوا كلام الإمام الحسين الذي أذن لهم بالرحيل عن كربلاء، وقفوا ليتحدثوا بكلمات ملؤها الحماسة التي تحكي عن عمق وفائهم وشدته، وللمثال، كان مما جاء في كلام مسلم بن عوسجة أن قال: "أنحنُ نُخلّي عنك؟! وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك؟! لا والله حتى أطعنَ في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة. والله لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك. أما والله لو علمتُ أني أُقتل ثم أحيى ثم أُحرق ثم أحيى ثم أُذرّى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً".[298]

٣. النصيحة والوفاء

يمتاز المجاهدون بميزة النُّصح لقادتهم، سواءً كان القادة حاضرين أم غائبين، ولا يُخفون عنهم أبداً أيّ أمرٍ يكون فيه صلاح الإسلام، ويضعون كل ما لديهم من معلومات ـ سواءً سأل القادة أم لا ـ بين أيديهم، ويجهدون من كل قلوبهم وحتى النفس الأخيرة في تدعيم الجبهة وتقويتها.

النموذج البارز لمثل هذا النوع من الأشخاص هو سعد بن الربيع، أحد أصحاب النبيصلى الله عليه وآله الأوفياء. فعلى الرغم من سقوطه على أرض أُحُد مثقلاً باثني عشر جُرحاً، استمر يدعو الآخرين ويحثهم على الجهاد لأجل نشر دين الله. بعد انتهاء المعركة، أمر النبيصلى الله عليه وآله زيد بن ثابت أن يأتي بخبر سعد بن الربيع، فوجده في

298. بحار الأنوار، ج44، ص393.

عداد القتلى، لكن كان لا زال به رمق من حياة، فقال زيدٌ له: إن رسول اللهﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول اللهﷺ عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إن لا عذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكمﷺ وفيكم عينٌ تطرف؛ ولم يكن مبعوث رسول اللهﷺ قد ابتعد عن سعد كثيراً، حتى عرجت روحه إلى العالم الآخر.[299]

وحينما سقط مسلم بن عوسجة في كربلاء لكثرة الجراحات التي أصابته، حضر عند رأسه حبيبُ بن مُظاهر، وقال له: يعزُّ عليّ مصرعك يا مسلم. أبشر بالجنّة.. لولا أعلم أني في الأثر لأحببتُ أن توصي إليّ بكلّ ما أهمّك. فقال مسلم: فإنّي وصيك بهذا (وأشار إلى الحسينؑ) فقاتِلْ دونه حتى تموت.[300]

٤. التضحية

من الخصائص الأخرى للمجاهدين في سبيل الله، التضحية من أجل القائد ورفاق الجهاد. فبحكم إخلاصهم، لا يُقصّر المجاهدون عن التضحية والإيثار، ويرون التوفيق لذلك نعمة كبرى من الله تبارك وتعالى.

وفي تاريخ الإسلام أحداث كثيرة جرت على هذا الصعيد، وهي تحكي عن العظمة الروحية والتضحية المنقطعة النظير للمجاهدين. ففي معركة أُحُد، عندما هُزم جيش الرسولﷺ، وفرّت طائفة، وقفت طائفة أخرى بمنتهى التضحية والإيثار تدافع عن النبيﷺ. ولقد كان الإمام عليؑ على رأس هؤلاء، حيث استمر يدافع عن النبيﷺ وفي بدنه الشريف سبعون جُرحاً، وثبتَ على ذلك حتى انكسر سيفه، فأعطاه النبي سيفه "ذو الفقار".[301]

299. عن السيرة النبوية لابن هشام، ج3، ص100.
300. بحار الأنوار، ج45، ص20.
301. "فروغ ابديت" "نور الآخرة"، ج2، ص475.

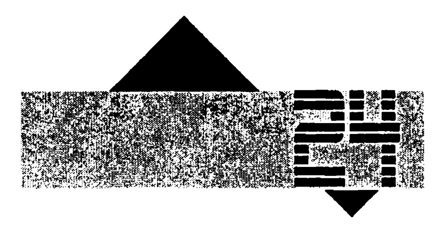
وأبو دجانة الأنصاري، كان أيضاً من عداد من حامى عن النبيﷺ إلى جانب عليعليه السلام ، حيث وقف أمامهﷺ يتلقى السهام عنه.[302]

ومن مشاهد التضحية في أُحدٍ أيضاً وأيضاً، شهادة عدد من المجاهدين عطشى، لأنّ كل واحدٍ ـ وعلى الرغم من عطشه الشديد ـ كان يؤثر صاحبه بالماء فلا يشرب حتى يشرب صاحبه، فاستشهدوا جميعاً قبل أن يذوق أحدهم الماء.

وفي ظهر عاشوراء، وقف عدد من أصحاب الإمام الحسينعليه السلام أمامه، يفدونه بأنفسهم ويتلقون عنه السهام، كي يتمكن من آداء الصلاة، وقد استشهد البعض منهم أثناء ذلك.

وخلال الحرب المفروضة، برزت نماذج من إيثار مجاهدي الإسلام وتضحياتهم بكثرة، حيث يحمل كل مجاهد من الذين شاركوا في تلك الحرب صوراً رائعة في ذاكرته.

302. المصدر السابق، ص476.



مقام المجاهدين ومنزلتُهم

يتمتع "المجاهدون في سبيل الله" بمنزلة فريدة في الرؤية الإسلامية، تميزهم عن سائر المؤمنين. وبالإضافة إلى تعداد بعضٍ من هذه الفضائل، سوف نشير في هذا الفصل إلى أجر المجاهدين كذلك.

مقام المجاهدين

1. لقد عظّم القرآن المجيد شأن المجاهدين بوصفه إياهم بصفة "المؤمنين الحقيقيين" وهو ما يشير إلى رفعة مقامهم عند الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾.[303]

2. صرّحت بعض الآيات بأفضلية المجاهدين على القاعدين، وأشارت إلى علو منزلتهم:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا *دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[304]

وفي آية أخرى، ضمن مقارنة المجاهدين في سبيل الله بسقاة الحجيج وعُمَّار المسجد الحرام، اعتبر القرآن منزلة المجاهدين أرفع من منزلة أولئك، حيث قال: ﴿... لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ...﴾.[305]

---

303. الأنفال: 74.
304. النساء: 96-95.
305. التوبة: 19.

3. بيّن القرآن المجيد أن المجاهدين الذين يقاتلون صفاً محكماً في سبيل الله، ينالهم حب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[306].

4. من شؤون هؤلاء المجاهدين وخصوصياتهم أنهم منفّذوا الإرادة الإلهية، حيث يُنزل الله تعالى العذابَ بأعدائه بواسطتهم، فيهلكهم:

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.[307]

5. دعاء المجاهدين وحاجاتهم مستجابة عند الله:

في الحديث عن الصادقعليه السلام: **"ثلاثة دعوتهم مستجابة أحدهم الغازي في سبيل الله"**.[308]

6. يتمتعُ المجاهدونَ كذلك بمنزلة خاصة في الجنّة، مثلما أشار النبي الأكرمصلى الله عليه وآله إلى أن لهم باباً من أبواب النعيم يدخلون منه وحدهم، حيث قالصلى الله عليه وآله:

"للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم".[309]

فكما يكون المجاهدون سبّاقين في الدنيا، كذلك يكونون في الدار الآخرة وبيت الضيافة الإلهية طلائعَ الداخلين. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **"المجاهدون في سبيل الله قُوّادُ أهل الجنة"**.[310]

وفي كلام للإمام الخميني(س) في معرض التعليق على خطبة الجهاد التي

306. الصف: 4.
307. التوبة: 14.
308. وسائل الشيعة، ج8، ص13.
309. المصدر السابق، ج11، ص5.
310. المصدر السابق، ص18.

جاء فيها أن الجهاد باب من أبواب الجنة، قد فتحه الله لخاصة أوليائه، يقول (قده) حول فضيلة المجاهدين:

"إن هذه الفضيلة الكبرى، من بين مجموع ما نُقل عن فضائل المجاهدين، هي الأكثر إثارة للانتباه. بدون شك، إن أقلام البشر العاديين وكلامهم لعاجز حتى عن بيان المعنى العرفي لهذه الكلمات، فضلاً عن أسراره الإلهية والعرفانية التي تقصر أيدينا أصلاً عن معرفتها. إن هذا الوسام الإلهي على عضد المجاهدين، ليشعُّ مثلَ الشمس في نظر أصحاب الأسرار الغيبية والملكوتية؛ أو ليس هذا التجلّي هو نفس تلك الخلعة التي دفعت إبراهيم الخليل للاعتزاز؟! أو ليس هذا التجلي بارقة من مقام حبيب الله، تُتوجُ رأس أفضل الموجودات؟! أو ليس هذا التجلي بعضاً من فيض مقام ولي الله ـ من أمير المؤمنين ـ حتى خاتم الأولياء ـ والذي قد شُرِّفوا به (على سائر الناس)؟!

فإنْ كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ فبأي بيان يمكن أن يشار إليه، وبأي عين بشرية يمكن أن يشاهد هذا التجلي؟! فالأفضل أن أقصر الكلام على قول السلام عليكم خاصة أولياء الله.

وإنّ هذه الكرامة الكبرى هي من نصيب المجاهدين في سبيل الله، سواء استشهدوا أم انتصروا..".[311]

أجر المجاهدين

١. الهداية الخاصة

يستفيد المجاهدون من هداية خاصة لا تصيب الآخرين، وكأنّ هذا هو أول أجر ينالونه جراء جهادهم في سبيل الله. يقول تعالى:

311. جريدة "إطلاعات"، بتاريخ 5/10/61 هـ.ش.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين﴾.[312]

٢. غفران الذنوب

يعد غفران الذنوب أجراً آخر يمنّ الله تعالى به على المجاهدين، حيث أكد سبحانه على ذلك، فقال: ﴿لأكفّرن عنهم سيئاتهم﴾.[313]

٣. النعيم الخالد في الآخرة

لقد تفضل الله تبارك وتعالى بإعطاء الجنة للمجاهدين، حيث قال:

﴿أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾.[314]

وقد عُبّر في بعض الآيات عن أجر المجاهدين الأُخروي بتعبير "الرزق الحسن"،[315] وتعبير "الأجر العظيم".[316]

٤. الرحمة والرضوان الإلهيين

إن إعلان الرضا الإلهي عن عباده المجاهدين لهو بحق أعظم النعم على الإطلاق، حيث قال تعالى: ﴿يُبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾.[317]

ومن المناسب الالتفات إلى هذه الملاحظة، وهي أن الله تعالى في مقام إعطاء المجاهدين أجورهم، قد شاء أن يعاملهم بفضله، ولهذا فقد وعدهم بقوله:

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ

312 .العنكبوت: 69.
313 . آل عمران: 195.
314 . التوبة: 89.
315 . راجع سورة الحج: 58.
316 . راجع سورة النساء: 74.
317 . التوبة: 21.

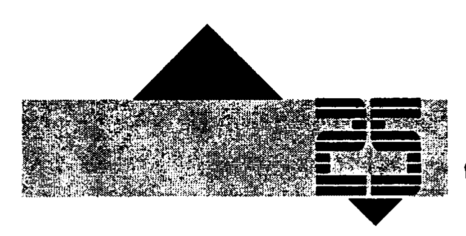
أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[318]

وقد ذكر في تفسير الشق الأخير من الآية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا..﴾ رأيان، كلاهما يكشفان عن أبعاد ما يناله المجاهدون في سبيله.

الأول: أن جهاد المجاهدين يعتبر أفضل أعمال حياتهم، وسوف يعطيهم الله ما يليق بهذه الأعمال من أجر.

الثاني: أنّ ما يُعطى للمجاهدين من أجر إلهي هو أفضل وأرفع شأناً من أعمالهم، وسوف يجزيهم الله على أساس أفضل ما أنجزوه وقاموا به.

318. التوبة: 121.



مقامُ الجرحى والشهداء

لقد وقع جرحى الجهاد محلاً للثناء والإجلال في بعضِ الروايات، وذلك بغض النظر عما ينالونه كمجاهدين من الوصول إلى مقام الجهاد المعنوي الشامخ، وما يتمتعون به من أجر وثواب. وإضافة إلى ما ينكشفُ لنا من حقيقة أجر الجرحى في هذه الروايات، يتضح لنا أيضاً عظمة مقامهم ورفعته؛ وكمثالٍ على ذلك، ننقل هذين الحديثين.

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وآله:

"إنّ جبرائيل أخبرني بأمر قرّت به عيني وفرح به قلبي. قال: يا محمد من غزا غزوة في سبيل الله من أمّتك فما أصابته قطرة من السماء أو صداع إلاّ كانت له شهادة يوم القيامة".[319]

ومن البديهي أنه إذا كان لوضع الرأس والتبلل في ساحة الجهاد مثل هذا الأجر، فالإصابة بالجروح أو تقديم عضو من أعضاء البدن هو حتماً أعظم أجراً وأرفع شأناً.

مقام الشهداء

إضافة إلى مشاركة المجاهدين في مقامهم، يتمتع الشهداء بمقامات كثيرة هي أعلى من ذلك، ونحن في الواقع عاجزون عن إدراك كنه هذه المقامات. ويكفي في إدراكه عظمة مقام الشهداء أن نلتفت إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام قد طلب من الله تعالى أن يرزقَهُ إياه، حيث قال:

319 . بحار الأنوار، ج97، ص8.

"نسألُ الله منازل الشهداء ومعايشة السُّعداء ومرافقة الأنبياء".[320]

وعلى ضوء الآيات والروايات، سوف نقوم ببيان شيء من مقاماتهم فيما يلي:

١. مرافقة الأنبياء والصدّيقين والصالحين

في إطار ذكره لمن قد أنعم الله عليهم، يشير القرآن المجيد إلى الشهداء ومرافقتهم للأنبياء عليهم السلام، حيث قال تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.[321]

٢. فاتح قمة الفضائل

قال رسول الله ﷺ: "**فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله عز وجلّ فليسَ فوقَه برٌّ**".[322]

٣. الدخول إلى عرصة القيامة بمراسم البهاء

نظراً لرفعة مقامهم، حينما يرد الشهداء إلى صحراء المحشَر، يبدي الجميع الاحترام لهم، بما في ذلك الأنبياء.

ينقل علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"**فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجَّلوا لهم مما يرونَ من بهائهم..**".[323]

٤. الشفاعة

يُعدُّ الشهداءُ من الأشخاص الذين يؤذن لهم بالشفاعة يوم القيامة، وتكون

320. نهج البلاغة، الخطبة 23.
321. النساء: 69.
322. بحار الأنوار، ج100، ص10.
323. مستدرك الوسائل، ج11، ص12، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

شفاعتهم مقبولة عند الله تعالى. فمما جاء في جزء من الحديث السابق "فوالذي نفسي.." قال صلى الله عليه وآله: "**ويشفعُ الرجلُ منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته، حتى أنَّ الجارين يختصمان أيهما أقرب**".[324]

وكما أشرنا سابقاً، محاولة الوقوف على حقيقة مَقام الشهداء أمر خارج عن طاقة البشر المأسورين في حجاب هذا العالم، وقد اعتبر الإمام الخميني(س) أن مقامهم غير قابل للتصور والإدراك، حيث قال (قده):

"**ليست الشهادةُ في سبيل الله أمراً يمكنُ تقديرهُ بالموازين البشرية والدوافع العادية، كما لا يمكن إدراك مدى رفعة مقام الشهيد في سبيل الحق، ورفعة الهدف الإلهي، منْ خلال النظرة الإمكانية. إنّ (معرفةَ) القيمة العظيمة للشهادة وسمو مقامها يحتاج إلى معيار إلهي ونظرة ربوبية، وليست أيدينا نحن الذين سكنا هذا العالم قاصرة عن ذلك فحسب، بل إن سكان السماوات عاجزون أيضاً عن إيجاد الطريق إلى كنه حقيقتها ورفعتها، إذ أنّ ذلك من مختصات الإنسان الكامل، والموجودات الملكوتية بعيدون عن هذا المقام الممتلئ بالأسرار..**".[325]

أجرُ الشهداء

زيادة على ما يتمتعون به من أجور المجاهدين والجرحى، يختص الشهداء في سبيل الله بالاستفادة من أجور خاصة بهم، تضمنها جميعاً هذا التعبير القرآني الجميل والمعنوي:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[326]

وعلى الرغم من أن حياة الناس بعد الانتقال من هذا العالم (إلى عالم

324. المصدر السابق
325. صحيفة النور، ج22، ص329.
326 . آل عمران: 169.

البرزخ) هي أمر قطعي، وأن تنعُّمَ جميع الأفراد الصالحين في ذلك العالم يحدث في محضر الحق جلّ وعلا، إلاّ أن ذكر هذين الميزتين بشأن الشهداء، يدلُّ على أنَّ حياتهم وتنعمهم يختلف عن حياة وتنعم أهل الجنة الآخرين، وهو أرفع من ذلك بمراتب عالية.

ومما قاله الإمام الخميني(س) في سياق تبيينه لهذه الحقيقة:

"إن هذه الحياة وهذا الرزق ليسا هما الحياة في الجنة والرزق فيها. إنهما لقاء الله وضيافته. (ثمَّ) أوَ ليس هو عينُ ما نزلَ للنفوس المطمئنّة أنْ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، والذين يعتبر سيد الشهداء عليه السلام الفرد الأبرز بينهم؟ فإذا كان الأمر كذلك، فأي بشرى هي أفضل بالنسبة إلى الشهداء الذين سلكوا طريق أمنية الإمام الحسين‹ع› ـ وهي أمنية (الشهادة) "في سبيل الله" ـ من أن يؤذن لهم بالدخول إلى الجنة التي يدخلها ذلك العظيم المُستشهَد في سبيل الله، وأن يجلسوا على مائدة الضيافة التي يحضرُ عليها ـ وهي غير الضيافات الجِنانية ـ والتي تقصر عنها آمال من هم مثلي ومثلكم..".[327]

وفي كلام حماسي وعرفاني له، يقول (قده) في مكان آخر:

"إنَّ الشهداء هم شموع محفل العشاق (الله)، الذين يحيون في غمرة ضحكات سكرهم وفرحة وصولهم في ظل "عند ربهم يرزقون"، وهم أصحاب النفوس المطمئنة الذينَ ناجاهم ربهم بلطيفة "فادخلي في عبادي وادخلي جنتي". إن الحديث عن الشهادة هو حديث عن العشق والمحبة، والقلم يعجز عن بيان وصفه".[328]

إن أجر الشهيد يبدأ من اللحظة الأولى لشهادته، ويشمله عن ذلك الحين لطف الله ورحمته. وقد أشار النبي الأكرم‹ص› في حديث إلى تفاصيل هذا الأجر

327 . صحيفة النور، ج18، ص223.

328. المصدر السابق، ج21، ص32.

فقال صلى الله عليه وآله:

"للشهيد سبع خصال من الله:

أول قطرة من دم مغفور له كل ذنب.

والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة يكسى من كسوة الجنة.

والرابعة تبتدره خزنةُ الجنة بكلّ ريحٍ طيبةٍ أيُّهم يأخذهُ معه.

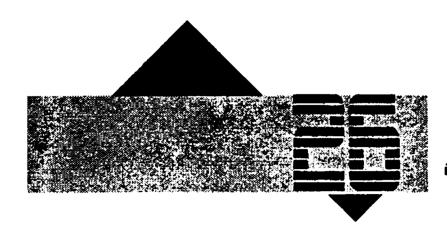
والخامسة أن يرى منزله.

والسادسة يُقال لروحه: إسرح في الجنة حيث شئت.

والسابعة أن ينظر في وجه الله وأنها لراحةٌ لكل نبيّ وشهيد".[329]

---

329. وسائل الشيعة، ج11، ص10.



المعذورون والمتخلّفون عن الجهاد

يعدُّ الجهاد ساحة للاختبار تُعرف فيها معادن الرجال. فعندما تشتعل نار الحرب وتبرز الحاجة لمشاركة الجميع، يمتنع ـ شئنا أم أبينا ـ عدد من الأشخاص عن المشاركة في الجهاد، سواء كان ذلك بعذرٍ أم بغير عذر، وذلك خلافاً للمجاهدين الذين يسارعون نحو الجبهات. ويمكن تقسيم هؤلاء الممتنعين إلى ثلاث فئات هم: المعذورون والمتخلفون والفارّون من الزحف.

يرادُ بالمعذورين أولئك الأشخاص الذين يعدُّون مجازِين بترك المشاركة في الجهاد نتيجة سبب شرعي مقبول.

يرادُ بالمتخلفين أولئك الأشخاص الذين يتركون المشاركة في الجهاد دون عذر شرعي مبرر، ويتخلّفون عن آداء تكليفهم أمام الله تعالى.

يراد بالفارّين من الزحف أولئك الأشخاص الذين بعد خروجهم إلى القتال، لا يكملون آداء تكليفهم، ويتركون الجبهة وراءهم.

في هذا الفصل، سوف نتعرّضُ لبيانٍ مفصّل حولَ المعذورين والمتخلّفين، بينما سنبيّنُ في الفصل الذي يليه أسلوب التعامل مع المتخلّفين عن ركب الجهاد.

المعذورون

تمتلك هذه الجماعة من المؤمنين الرغبة والميل الباطنيين للمشاركة في الجهاد. وإذ يمكن أن نُقسّم هذه الطائفة إلى فئات أربع أيضاً، فإنه نظراً لعدم امتلاكهم القدرة على آداء مثل هذا العمل، فهم مُعفون من الذهاب إلى الجبهة، وغير مؤاخذين على عدم المشاركة. وهذه الفئات هي:

١. الضعفاء

هو الشخص الذي يعذر لترك الجهاد بسبب كبر السنّ أو فقدان القدرة البدنية اللازمة أو وجود نقص عضو من أعضاء بدنه. يقول تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ..﴾.[330]

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن أحد أصحاب النبي الأكرمﷺ المخلصين جاء إليه وقال: "يا رسول الله! إنّي لعجوز أعمى وضعيف، ولا أملك حتى شخصاً يجرّني بيدي ويأخذني إلى الجهاد. أفهل أكون معذوراً إن أنا تركت الجهاد؟" فسكت النبي الأكرمﷺ حتى نزلت هذه الآية وأعفت مثل هؤلاء الأشخاص عن المشاركة في الجبهة.[331]

وأوضحت آية أخرى تكليف المعوّقين بشأن المشاركة أيضاً، حيث كانوا قد سألوا النبيﷺ عن ذلك. قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ...﴾.[332]

٢. المرضى

في سياق الآيتين الآنفتين، وردت الإشارة كذلك إلى أن المرضى هم في عداد الذين لا يؤثمون على ترك المساهمة في الجهاد، حيث قال تعالى: ﴿...وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ...﴾.[333]

٣. الفقر المُقعد

حينما يعزم أحدٌ على الخروج إلى الجهاد، يحتاج إلى إنفاق المال لتأمين

---

330. التوبة: 91.
331. راجع التفسير الأمثل، ج8، ص80.
332. الفتح: 17.
333. المصدر السابق.

ضروريات الخروج من قبيل تأمين السلاح والعتاد ونفقة الأهل.. فإن كان عاجزاً عن توفير المال المطلوب، ولم تكن الحكومة الإسلامية قادرة على تأمين ما يلزم لتجهيزه، كان هذا الشخص من عداد المعذورين أيضاً. وقد صرح القرآن المجيد بهذا أيضاً، حيث قال:

﴿...وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ...﴾.[334]

فقد جاء سبعة رجال من أصحاب النبيﷺ وطلبوا منه أن يجهّزهم للمشاركة في حرب "تبوك"، ولأن النبيﷺ لم يكن يملك أي وسيلة لذلك، فقد أخبرهم أنه عاجز عن تنفيذ ما أرادوه. فخرج هؤلاء، من عنده وهم يبكون، واشتهروا بعد ذلك بلقب "البكاؤون".[335] وقد قبل القرآن المجيد عذرهم، حيث قال تعالى متحدثاً عنهم:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.[336]

٤. النساء والأطفال

لا يشمل وجوب الجهاد هذه الفئة من الناس، ولذا فلا تكليف عليهم أن يشاركوا في القتال وعلى الجبهات. وفي سياق الحديث (عموماً) عن المعذورين، ينبغي الإلتفات إلى الأمور التالية:

أ. أن إعفاء هؤلاء مرتبط بمورد الجهاد الابتدائي، أو حالة وجود الكفاية في الجهاد الدفاعي. وأمّا في حال عدم وجود الكفاية فمن الواجب عليهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم بقدر ما يستطيعون، وأن لا يُقصّروا في ذلك أبداً.

---

334. التوبة: 91.

335. راجع التفسير الأمثل، ج8، ص80.

336. التوبة: 92.

ب. إعفاء هؤلاء مرهون بأن يعملوا بما اشترطه القرآن المجيد عليهم، وهو أن ينصحوا لله ورسوله.[337] وقد كتبَ العلامة الطباطبائي (قده) على هذا الصعيد قائلاً:

".. فإنما يُرفع الذم والعقاب عن هؤلاء المعذورين إذا نصحو لله ورسوله، وأخلصوا من الغش والخيانة، ولم يَجروا في قُعودهم على ما يجري عليه المنافقون المتخلفون، من تقليب الأمور وإفساد القلوب في مجتمع المؤمنين، وإلاّ فيجري عليهم ما يجري على المنافقين من الذمّ والعقاب".[338]

ج. إن الأشخاص المعذورين عن المساهمة في الجهاد، يُعتبرون شركاء في الأجر المعنوي للمجاهدين بقدر شوقهم للحضور في الجبهات.

فعندما عاد النبي الأكرمﷺ وأصحابه من غزوة تبوك، وشارفوا على الوصول إلى المدينة، قال: لقد تركتم وراءكم في هذه المدينة رجالاً كانوا معكم طوال مسيركم، وشاركوكم في كل خطوة خطوتموها أو مالٍ أنفقتموه أو أرضٍ قطعتموها. فقالوا: يا رسول الله! كيف كانوا معنا وقد بقوا وراءنا في المدينة؟ فقالﷺ: **"لأنهم كانوا معذورين عن المشاركة في الجهاد (لكنّ قلوبهم كانت معكم)".**[339]

المتخلفون عن الجهاد

ينقسم المتخلفون عن الحضور في الجبهة إلى فئتين: ضعافُ الإيمان، والمنافقون. ضعاف الإيمان هم أولئك الذين قبلوا الإسلام وآمنوا بأصوله، لكنهم أظهروا الضعف حال العمل به، وتخلفوا عن الالتزام بأحكامه. وقد أشار القرآن المجيد إليهم في قوله تعالى:

---

337. التوبة: 91.

338. الميزان، ج9، ص362.

339. راجع التفسير الأمثل، آية الله ناصر مكارم الشيرازي، ج8، ص83.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[340]

وقد ورد بشأن نزول هذه الآية أن المسلمين في مكة، وقبل الهجرة إلى المدينة، كانوا عرضة لأذى المشركين وتعذيبهم. فجاؤوا إلى النبيﷺ يشكون هذا الحال، وقالوا: يا رسول الله إئذن لنا أن نقاتل المشركين، فإنهم يؤذوننا ويُعذبوننا (ولأن النبيﷺ لم يكن مأموراً آنذاك بالجهاد، لم يأذن لهم. ولكن بعد ذلك في المدينة) عندما أُمر المسلمون بالجهاد والتحرك نحو بدر، ثَقُل على طائفةٍ منهم هذا الأمر، فنزلت هذه الآية.[341]

وفي آية أخرى، وبّخ الله الحكيم ضعاف الإيمان المتخلفين وحذّرهم، حيث قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.[342]

وكما يتضح من هاتين الآيتين المباركتين، فإن السبب الحقيقي وراء تقصير هذه الفئة في الخروج إلى الجهاد هو حبُّ الدنيا، حيث صار هذا الحب سبباً في جذب قلوبهم إليها ومانعاً عن إسراعهم إلى ميدان القتال. وبالإضافة إلى ما ذكر في هاتين الآيتين من أن متاع الدنيا في الآخرة قليل، بل لا يقاس بالثواب الإلهي، فقد هُددوا في آية أخرى بشكل صريح أنهم اختاروا الدنيا على الله والرسول والجهاد في سبيله، فليتوقعوا عواقب وخيمة. قال تعالى:

340. النساء: 77.

341. مجمع البيان، الطبرسي، ج3 و4، ص77.

342. التوبة: 38.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[343]

إن المقطع الأخير من الآية ﴿...وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ...﴾ الذي أدخل المتخلفين في زمرة الفسقة، يُشعر بأنّ هذه الفئة قد خرجَت عن حدود العدالة الإسلامية بسبب عدم القيام بتكليف الجهاد، ودخلت في وادي الفسق والعصيان، ووسمت جباههم بعلامة تدل على ذلك.

أما المنافقون، هذه الفئة التي تُقدِّمُ نفسَها بلباس المسلمين، فيظهر باطنها عند مواجهة الصعوبات والمخاطر، وكذلك تمتنع عن مواكبة المسلمين في جهادهم. ولأجل أن يوجدوا عذراً وغطاءً لموقفهم، كانوا يذهبون في صدر الإسلام إلى النبيﷺ، ويستأذنونه في ترك المشاركة، ومن ثم يصورون أنّ عملهم هذا مبرر سبب أخذهم للإذن.

وقد أخبر القرآن عن عملهم ونيّتهم الفاسدَيْن، في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.[344]

ثم يرفع الستار بعد ذلك عن سلوك المنافقين القبيح، ويوضح أنهم إن ذهبوا إلى الجبهة، فلن يصدر منه أي فعلٍ سوى الفساد وإضعاف الصفوف، وأن لهم سابقة طويلة في إيجاد الفتن. إن انتصر المسلمون استاؤوا، وإن هزموا فرحوا لذلك. قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا

343. التوبة: 24.

344. التوبة: 45.

مَعَ الْقَاعِدِينَ* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ* وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ* إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ *قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[345]

وفي بعض الموارد، ترك المنافقون المسلمين دون إذنٍ (من النبيﷺ) في منتصف الطريق إلى ساحات الجهاد، وكانوا يرجعون إلى بيوتهم تحت غطاء أعذارٍ واهية، ويفضلون الحياة الرغدة على الجهاد في سبيل الله.

ففي حرب أُحُد، حينما خرج النبي الأكرمﷺ، بحوالي ألفٍ من المسلمين للقاء العدو انشق عبد الله بن أبيّ (زعيم المنافقين) مع ثلاثمائة من أصحابه عن جيش الرسول، وعادوا إلى المدينة، يريدون بذلك إسقاط معنويات الجيش وقوته.

وفي حرب الأحزاب أيضاً، كان المنافقون خلف الجبهة يدافعون عن اليهود وأعداء الإسلام، وبحجة أن بيوتنا عورة، امتنعوا عن الحضور في الخط الأمامي، وكانوا يحثّون الآخرين على التراجع أيضاً.[346]

في صلح الحديبية، قصّر المتخلفون أيضاً عن نصرة جيش الإسلام ومساندته، فقد كانوا يظنون أن نبي الإسلام وأصحابه لن يرجعوا أبداً من سفرهم ذاك، وأنهم سيُقتلون على يد المشركين. وقد أعلن القرآن المجيد في سورة الفتح كلامهم وأهدافهم على الملأ، وهددهم بعذاب شديد.[347]

نموذج آخر من تثبيطات المنافقين، كان عدم خروجهم في جيش أسامة.

---

345. التوبة: 46 ـ 51.

346. أشار القرآن المجيد في سورة الأحزاب، الآيات 12 إلى 20، إلى موقف المنافقين خلال وقعة الأحزاب.

347. راجع سورة الفتح، الآيات 11 إلى 16.

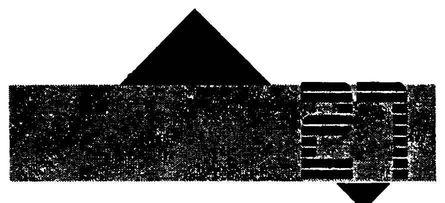
فعلى الرغم من جميع تأكيدات النبيﷺ على المشاركة في حرب الروم، وكلامه الواضح في ذم وتهديد المتخلفين حيث قال: "**جهّزوا جيش أسامة لعنَ الله من تخلّف عنه**"، [348] نجدهم مجدداً يمتنعون عن تجهيز الجيش والمشاركة فيه، لكي يُحققوا ما كانوا يطمحون إليه من أهداف مشؤومة.

ومع أن المنافقين كانوا يتخلفون عن المشاركة في الجهاد، تارة بعذر وأخرى دون ذلك، إلاّ أنهم كانوا يتوسلون في بعض الأحيان بالحيل ليُبرروا عدم مشاركتهم ويحفظوا ماء وجوههم أمام المسلمين. وكمثال على ذلك، كانوا يلجأون إلى الحَلْف والكذب، مدّعين أننا لو كنا نقدر على الخروج، لخرجنا معكم. ولكن القرآن الكريم أفشى حيلهم تلك، حين قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. [349]

348 . الملك والنحل، للشهرستاني، ج1، ص23، بيروت.

349 . التوبة، 42.



أساليب التعامل مع المتخلفين عن الجهاد

يمكن بالاستفادة من الآيات والروايات، والسيرة العملية للمعصومين(ع)، الوقوف على أساليب التعامل مع المتخلفين، سواء ضعاف الإيمان منهم أم المنافقين. وسوف نشير في هذا البحث إلى عدة من هذه الأساليب:

١. الذمّ والتهديد

يعد الذم والتهديد أحد أساليب التعامل مع المتخلفين في الحرب، عسى أن يتنبهوا ويعودوا عن خطأهم، وفي الوقت نفسه كي يراجع سائر الأفراد ما يقومون به من أعمال، ويبتعدوا عن أي تخلّف محتمل.

وقد هدّد القرآن المجيدُ صراحة وبشدة، حيث قال تعالى بشأنهم:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[350] وفي آية أخرى، ضمن سياق التهديد أيضاً، نجده يعلنُ ذمَّهُم باعتبارهم فسقة.[351] ويأمرُ تعالى نبيّه أن يعاملهم بشدة وقسوة، حيث قال:

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.[352]

وفي موقفه من بعض أهل الكوفة الذين امتنعوا عن الخروج معه لقتال أهل الجمل، استفاد علي عليه السلام من هذا الأسلوب في معاملتهم، وقال موبّخاً إياهم: "**ما بَطّأ بكم عنّي وأنتم أشرافُ قومكم؟ واللهِ لئن كان من ضعفِ النيةِ**

350. التوبة: 39.
351. التوبة: 24. ﴿...فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
352. التوبة: 83.

وتقصيرِ البصيرةِ إنّكُم لبُورٌ. واللهِ لئن كان من شكٍ في فضلي ومظاهرةِ عليّ إنّكُم لعدوٌّ".[353]

وعلى أثر سماعهم لهذا الكلام، تيقظوا وقالوا:

"حاش لله يا أمير المؤمنين، نحن سِلمُكَ وحربُ عدوّك".

٢. المقاطعة

من الأساليب التي استخدمها النبي الأكرمﷺ بحق المتخلفين عن القتال، كان مقاطعة الأشخاص الذين يمتنعون عن المشاركة دون عذر.

ففي حرب "تبوك"، تخلف عن اللحاق بالجيش ثمانون ونيفاً من المسلمين، ثلاثة منهم كانوا: كعبَ بن مالك، مرارة بن الربيع، هلال بن أميّة. وعند عودة رسول اللهﷺ من حربه، لجأ أغلب المتخلفين إلى تلمس الأعذار، ورفع مسؤولية ما قاموا به وعواقبه عن كواهلهم. أمّا هؤلاء الثلاثة فاعترفوا بأنهم لا يملكون عذراً مبرراً عما قاموا به.

أمرَ رسول اللهﷺ المسلمين، وحتى زوجات هؤلاء الثلاثة، بأن يمتنعوا عن الحديث إليهم ويقاطعوهم. وقد أدت هذه المقاطعة إلى أن يفكر المتخلفون بخطأهم ويتوبوا إلى الله تعالى، ونزل فيهم قوله تعالى:[354]

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[355]

كذلك، استخدم عليّعليه السلام أسلوب المقاطعة ضد المتخلفين عن بعض حروبه. فبعد رجوعه من حرب الجمل، دخل الكوفة وصعد المنبر، وبعد الحمد والثناء

353. وقعة سفين، ابن مزاحم، ص7، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
354. راجع مجمع البيان، ج5 و6، ص79، الدر المنثور، ج3، ص286.
355. التوبة: 118.

على الله، ذم المتخلفين، وطلب من الناس أن يهجروهم:

"إنه قعدَ عن نُصرتي رجالٌ منكم فأنا عليهم عاتبٌ زارٍ، فاهجُروهم وأَسمعُوهُم ما يكرهونَ حتى يُعتبونا ونَرى منهم ما نَرضى".[356]

٣. قطع الامتيازات المادية

قطع الحقوق والحرمان من إمكانات الحكومة الإسلامية هو الآخر من طرق التعامل مع المتخلفين، والتي يمكن استخدامها لغرض إيقاظهم وتنبيههم، لأن التضييق من الناحية الاقتصادية على بعض الأفراد، يدفعهم إلى التنبه وعدم التقصير في آداء التكليف.

بعد حرب صفين، حضر عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة برفقة آخرين من الذين تخلفوا عن حربي الجمل وصفين، حضروا عند عليعليه السلام وطلبوا منه أن يعطيهم حصتهم من بيت المال، والتي كانت قد قُطعت عنهم جرّاء تخلفهم، لكن أمير المؤمنين ردّ طلبهم ولم يدفع لهم شيئاً.[357]

٤. الإجبار والالتزام

يجبُ أن تُتخذ أحياناً إجـراءاتٌ قانونية بحق المتخلفين، وأن يُجبَروا عندَ اللزوم على المشاركة في الجبهة. فمن الأمور المعمول بها زمان الحرب في كثير من دول العالم، أخذ المطلوبين للخدمةِ والمتخلفين، أخذُهُم إلى المعسكرات عن طريق الإجبار، وذلك بإقامة حواجز للتفتيش على الطرقات، تقوم باعتقالهم وإرسالهم إليها. وبعد أن يمضوا دورة تدريبية، يُرسلونهم إلى الجبهة. وفي تاريخ الإسلام ما يحكي عن معاملة قاسية ومتشددة مع الغائبين والمتخلفين.

ومما يُنقل على لسان عليعليه السلام أن رسول اللهصلى الله عليه وآله دعا الناس للإلتحاق بجيش

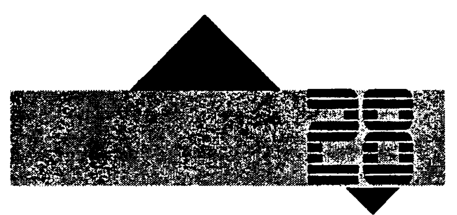
356. بحار الأنوار، ج32، ص352.

357. وقعة صفين، ابن مزاحم، ص552-551.

أسامة وحثهم على ذلك. وكان رسول اللهﷺ مبتلى بالضعف الشديد حينها، وقد امتنع عدد عن الخروج في جيش أسامة، فأمرﷺ قيس بن سعد والحباب بن المنذر برفقة بعض من رجال الأنصار أن يسيروا بالناس على معسكر أسامة، ففعلوا، ثم عادوا إليه وأخبروه بما جرى معهم.[358]

وعلى كل حال، نظراً لأن ترك الجهاد من المنكرات، ينبغي لأجل النهي عن هذا المنكر القيام بالعمل المطلوب. فإن لم تنفع المراتب الأولى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل الدعوة باللسان.. يجب أن يُستفاد من كل وسيلة يمكن معها الوقوف في وجه هذا المنكر، ومنها الإجبار والإلزام.

358 . راجع مكاتيب الأئمة، الفيض الكاشاني، ج1، ص86.



الفارّون من الزحف

إن الذين يتركون المجاهدين وحدهم في ساحة الحرب، ويفضلون الهرب على الصمود، ليرتكبون خطأ أعظم من خطأ المتخلفين، لأنهم بالإضافة إلى ترك نفس المشاركة في القتال، يضعفون معنويات المجاهدين، وفي النتيجة يضعفون قوة الإسلام. ولقد دلت الآيات والروايات على قُبح الفرار وحرمته، نشير فيما يلي إلى بعضٍ منها.

يقول تعالى في القرآن المجيد ناهياً عن هذا العمل، وبلحنٍ ملؤه التهديد:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتمُ الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار* ومَنْ يولهم يومئذٍ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضب من اللهِ ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.[359]

هذه الآية التي نزلت بشأن معركة بدر، اعتبرت أن الغضب الإلهي يحلُّ بالفارين، وأن عملهم ذاك سبب لدخول جهنم. وإنّ في نفس تهديدهم بالعذاب، لأفضل برهان على أن معصيتهم تعدُّ من ضمن الذنوب الكبيرة.

وقد قال الصادق عليه السلام معقباً على هذه الآية:

"فمن انهزم حتى يجوز صفَّ أصحابه فقد باء بغضب من الله".[360]

وصرّح علي عليه السلام بأن هذه المعصية هي من الذنوب الكبيرة فقال:

"الفرار من الزحف من الكبائر".[361]

---

359 . الأنفال: 16-15.

360 . مستدرك الوسائل، ج11، ص72.

361 . المصدر السابق، ص71.

حرمة الفرار

إن الإسلام دين العزة والإباء، وإن هذه العزة ورفضَ الذلة هي من مختصات الله تعالى والرسول والمؤمنين، حيث صرّح القرآن بذلك قائلاً: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.[362] ولهذا السبب، فإنّ كل عمل يؤدي إلى المساس بها، وبالتالي إلى بروز المهانة والذلّة في مجتمع المؤمنين، هو عمل حرام وممنوع.

الفرار من الزحف هو من أهم العوامل التي تُضعف معنويات المؤمنين، وتؤدي إلى ظهور التفرقة والهزيمة داخل المجتمع الإسلامي. وفي كلام جامع له، أوضح الإمام الرضاعليه السلام فلسفة حرمة الفرار من الزحف، فقال:

"حرّم الله الفرارَ من الزحفِ لما فيه من الوهنِ في الدينِ، والاستخفاف بالرسلِ والأئمةِ العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على إنكار ما دُعُوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، ولما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل، وإبطال دين الله عز وجلّ وغيره من الفساد".[363]

وبالتدقيق في هذا الحديث الشريف، ليس فقط تتضح فلسفة حرمة الفرار من الزحف، بل يمكن الوقوف على الآثار السلبية الناشئة جراء ذلك.

طرق الوقاية من حدوث الفرار

استناداً إلى أن الوقاية مقدَّمةٌ في كل أمر على العلاج، وهي خير منه، سوف نعمد في البداية إلى بحث طرق الوقاية من حدوث الفرار، ثم نتطرق بعدها إلى بيان أساليب التعامل مع الفارين من الزحف أنفسهم:

---

362 . المنافقون: 8.

363 . وسائل الشيعة، ج11، ص66. عيون أخبار الرضا، ج2، ص91، منشورات الأعلمي، طهران.

١. إفشال شائعات العدو

من العوامل المؤدية إلى بث روح الفرار في نفوس القوى العسكرية، هي الشائعات والدعايات التي يروج لها العدو. فشائعة من قبيل انهزام الجيش أو فرار عدد من المجاهدين أو مقتل القائد أو مقتل ضابط الجيش.. هي من جملة الشائعات التي تؤدي إلى زلزلة أركان القوات المقاتلة، وتجعلها مهيأة لتقبل فكرة الفرار.

ويجب على المسؤولين والقادة والواعين، قبل وقوع حادثة من هذا النوع، أن يكونوا متنبهين لهذا الأمر، ويفكروا في كيفية سد طرق سراية الشائعات، وأن يُفشلوا جهود العدو من خلال توفير المعلومات الصحيحة للمجاهدين ونشرها بينهم.

أيضاً، يُعدُّ تعيين نائب أولٍ وثانٍ للقادة أمراً ضرورياً كي يواصل المجاهدون أعمالهم بقوة قلب، ولا يفروا من الميدان عند انتشار شائعة مقتل القائد. وفي توجيه القوات توجيهاً دقيقاً وكاملاً بشأن أهداف العمليات والتحركات العسكرية التي ستتخذ، وأن الجهاد لا يجب أن يتوقف على وجود أفرادٍ معينين، هو من جملة العوامل التي تدفع بالمجاهدين إلى الاعتماد على أنفسهم، ولا تدعهم لمجرد مقتل شخص أو أكثر يختارون الفرار على الصمود والمواجهة.

ففي واقعة أُحُد، كان أحدُ أسباب الفرار من المعركة هو سماعُ شائعة مقتل رسول الله ﷺ، وهو ما دفع به ﷺ إلى أن يخلع عمامته عن رأسه ويصرخ بأعلى صوته منادياً الهاربين:

"أيها الناس أنا لم أمُت ولم أُقتل".[364]

ومن أجل ذم الفارين ومنع المجاهدين من أن يلجأوا إلى الفرار ثانية، فقد خاطبهم القرآن المجيد مشيراً إلى ضرورة الالتفات إلى الهدف الأساسي

364. بحار الأنوار، ج20، ص104.

لجهادهم ـ وهو نشر الدين الإلهي ـ وأنه لا يجب التراجع عنه لمجرد مقتل القائد، حتى ولو كان النبي الأكرمﷺ، حيث قال تعالى:

﴿وما محمد إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً. وسيجزي الله الشاكرين﴾.[365]

٢. تقوية روح الأمل

تكون علة الفرار من الميدان أحياناً هي روحية اليأس التي تسيطر على القوات. في مثل هذه الحالات، يجب بعث روح الأمل فيهم من جديد، بتذكيرهم بوعود النصر الإلهي للمؤمنين، وما جرى على هذا الصعيد مع المجاهدين الذين سبقوهم..

وقد كان هذا الأسلوب أحد الأساليب التي استخدمها النبي الأكرمﷺ في معركة أُحُد. فعندما شاهد فرار قوات الإسلام، عمد إلى تقوية الأمل بالنصر في نفوسهم، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

"لما انهزم الناس عن النبيﷺ يوم أُحُد، نادى رسول الله أن الله قد وعدني أن يظهرني على الدين كله".[366]

٣. الإشارة إلى عواقب الفرار

من طرق الوقاية الأخرى، الإشارة إلى العواقب السيئة والمذلّة للفرار، سواء في الدنيا أم الآخرة. وكما مرّ معنا سابقاً، فقد هدد القرآن المجيد الفارّين بالغضب الإلهي ونار جهنم، ومثل هذا التذكير في ساحات الجهاد، يمكنه أن يدفع الأشخاص الذين يفكرون بالفرار إلى العدول عن عملهم هذا.

365 . آل عمران: 144.
366 . بحار الأنوار، ج20، ص92.

ولأجل أن يمنع فرار قواته، نجد علياً عليه السلام يستفيد من هذا الأسلوب فيقول مخاطباً جيشه:

"وأيمُ الله لئن فرَرتم من سيف العاجلة لا تَسلمُوا من سيف الآخرة وأنتُم لَها مِيمُ العربِ والسَّنَامُ الأعظمُ. إنَّ في الفرارِ مَوجدَةَ الله والذُلَّ اللازمَ والعارَ الباقي. وإنَّ الفارَّ لغيرُ مَزيدٍ في عُمُره ولا مَحجُورٍ بينَهُ وبينَ يَومه".[367]

ونقل عنه عليه السلام أنه قال:

"وإن كانت وأعوذُ بالله فيكُم هزيمةٌ فتداعوا واذكروا الله وما توعّد به مَنْ فرّ من الزحف، وبَكِّتُوا من رأيتموه ولّى.."[368] (التبكيت هو التوبيخ).

وقد رأى النبي الأكرمﷺ في حربِ أُحُد رجلاً من المهاجرين قد فرَّ معلقاً ترسه على ظهره، كي لا يرمى من خلفه. فناداهﷺ قائلاً: **"يا صاحبَ الترس! ألق ترسك ومُرّ إلى النار"**.[369]

٤. إعلان أسماء الفارين

من السبل الأخرى للحد من الفرار أن يقوم القائد فيناديهم بأسمائهم، ويدعوهم إليه. هذا العمل يدفعهم للخجل مما أقدموا عليه، وللإلتحاق مجدداً بأفراد الجيش، كما يجعل الآخرين يحذرون الوقوع فيما وقع به هؤلاء.

ففي نفس تلك المعركة (أُحُد)، نادى النبي الأكرمﷺ كثيراً من الفارين بأسمائهم وقال: **"إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، إليّ يا فلان، إليّ يا فلان.."**.[370]

ولقد كان التأكيد على لفظ "عباد الله" لأجل أن ينتبهوا إلى أنهم إن كانوا

367 . نهج البلاغة، الخطبة 124.

368 . دعائم الإسلام، ج1، ص353.

369 . تفسير القمّي، ج1، ص116، منشورات مكتبة العلامة، قم.

370 . الصحيح من سيرة النبي، ج4، ص226.

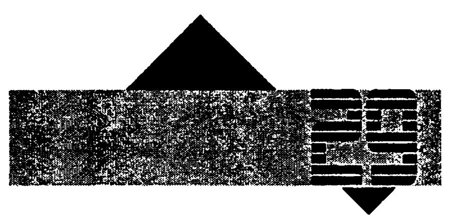
عباد الله حقاً، ويريدون البقاء في هذا الطريق، فعليهم أن يثبتوا، وأن لا يتركوا النبي لوحده أبداً ويفرّوا من ساحة الجهاد.

أساليب التعامل مع الفارين

بسبب ما يبعثُه الفارون من الزحف، من روح الفوضى واليأس والهزيمة وفي نفوس المجاهدين، فهم يستحقّون أشد أنواع المعاملة والعقاب، كي يفكر الآخرون طويلاً فيما ينوون القيام به، ولا يتمكن ضعاف الإيمان بسهولة من إيجاد الخلل والعجز في صفوف المجاهدين، وذلك عن طريق إخلاء الخطوط الأمامية للجبهة.

وفي عالمنا اليوم، شرعت في الأنظمة القانونية عقوبات متشددة وقاسية للأشخاص الفارين. وأما كيفية تعامل الحكومة الإسلامية مع أمثال هؤلاء، فمرهون لرأي القائد وتشخيصه، لأن القائد وبالنظر إلى ظروف الزمان والمكان، ومقدار تأثير فرارهم في إيجاد الضعف والهزيمة، يمكنه أن يحدد هل أنه يُعفى عنهم، أو يُكتفى بذمهم وتأنيبهم، أو أنهم يعاقبون بشدة، كمثل عقاب الحبس والإعدام.

في المقابل، تكليف المسلمين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الصعيد، ويجب عليهم القيام بما يجعل هؤلاء يخجلون من فعلتهم القبيحة والمخجلة، ودفعهم مجدداً للإلتحاق بجيش الإسلام.



السيرة العسكرية للنبي الأكرم ﷺ

سبقت الإشارة من قبل، إلى أن المسلمين قبل الهجرة كانوا جماعة قليلة وضعيفة، لا يوجد من يحميها أو يساندها، وليس لها من تشكيلات بارزة، وعرضة لظلم قريش واضطهادها.

ومع حدوث الهجرة إلى المدينة، شكلت النواة الأولى للحكومة الإسلامية، وأصبح للمسلمين نظام وتشكيلات، صدر على أثرها الإذن بالدفاع والجهاد، فشارك المسلمون في معارك كثيرة لأجل تحقيق الأهداف الإلهية والدفاع عن النظام الإسلامي في مواجهة الهجمات المتكررة للمعتدين، والتي تولى نفسُ النبي ﷺ قيادة العديد منها، كما عيّن القائد بنفسه للبعض الآخر.

التعمق في دراسة هذه الحروب والسيرة العسكرية لرسول الله ﷺ يعلمنا دروساً كثيرة، نشير فيما يلي إلى البعض منها:

رعاية الأصول العسكرية

كان النبي ﷺ يستخدم كل الأصول والتكتيكات العسكرية كي يتمكّن بأقل الخسائر أن يحقق أعلى المكاسب والانتصارات. ومن بين هذه الأصول والتكتيكات:

١. جمع المعلومات

كان جميع المسلمين والقبائل المتحالفة معهم، بما فيهم القبائل المشركة، يعتبرون أنفسهم مكلّفين بمراقبة تحركات العدو. ولهذا السبب كان العيود بمجرد أن تنوي أي قبيلة أو جماعة أن تباشر تحركاً ما ضد مصالح المسلمين، يَقدمون

على النبيﷺ في المدينة، ويعلمونه بذلك. ولقد كان الهجوم السريع والمباغت للمسلمين على العدو مرهوناً في الغالب لهذا الجهاز الأمني الشعبي.

فعلى الرغم من كثرة أعداء الإسلام، الممتلئين حقداً والجادّين في العمل ضد دين الله، الذين كانوا يسعون ليأخذوا المسلمين على غفلة من أمرهم ويمحوا وجودهم بالكامل، لم يوفق هؤلاء طوال عشر سنوات مضت بعد الهجرة من تحقيق ما يصبون إليه؛ وهذا راجع إلى خصوصية القدرة على جمع المعلومات المسبقة عن تحركاتهم من قبل الجهاز العامل تحت يد النبيﷺ.

وحتى لو أنّ بعض الأشخاص تجـرّؤوا أحياناً على شنّ هجوم ما في محيط المدينة، كانوا يسارعون إلى الفرار خوفاً من ردّ فعل النبيﷺ السريع والشديد.

كذلك، عندما كان العدو يخرج إلى قتال المسلمين، كان المسلمون يجمعون المعلومات اللازمة عن نوعية عتادهم وكميته، وسائر المسائل الأخرى، بواسطة إرسال العيون والجواسيس. وعلى ضوء تلك المعلومات، كانوا يضعون خطة العمليات الدفاعية وينفذونها.

٢. السرية والكتمان

كما تمتاز مسألة جمع المعلومات عن العدو بأهمية خاصة، تتمتع أيضاً مسألة المحافظة على سرية المعلومات المتعلقة بالجبهة الداخلية (خاصة بالمسلمين) بنفس درجة الأهمية تلك، إن لم نقل بدرجة أكبر. فالعدو مثلنا، يسعى لجمع المعلومات ويجب علينا أن نَحرِمه بيقظتنا من فرصة كهذه. وفي سيرته العسكرية، كان النبيﷺ يولي هذا الأمر أهمية فائقة. وفيما يلي نشير إلى نماذج من ذلك:

أ. خرج عبد الله بن جحش على رأس سَريةٍ لتنفيذ مهمة عسكرية، ولأجل

أن لا يُفشي رسول اللهﷺ مقصدَ السرّية وهدفها فيصلَ خبر ذلك إلى العدو، أعطى عبد الله كتاباً مختوماً وقال له: **"أخرج أنت وأصحابك حتى إذا سرت يومين فاتح كتابك وانظر فيه وامضِ لما أمرتك"** فلما سار يومين وفتحَ الكتاب فإذا فيه **"أن امضِ حتى تنزل "نخلة" فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم"**.[371]

ب. عندما عزم النبيﷺ على فتح مكة، أعلن التعبئة العامة دون أن يكشف عن مقصده. فتصورت طائفة من المسلمين (جراء ذلك) أن النبيﷺ يريد الهجوم على "ثقيف" وأخرى ظنّت أنه يريد "الشام".. في حين أنه حتى المقرّبين منهﷺ لم يكونوا على علم بمقصده. فحينما رأى أبو بكر ابنته عائشة مشغولة بإعداد ما يلزم للسفر، سألها: أين يريد النبي؟ فأجابت: لا أعلم، لعله يريد بني سُليم أو هوازن أو ثقيفاً أو مكاناً آخر.

وفي الكتب التي كان بعث بها إلى زعماء القبائل، أمرهم النبيﷺ بأن يجمعوا قواتهم دون أن يبين لهم المقصد، وطلب من كلّ قبيلة أن تلتحق بالجيش عند نقطة محددة، وأن تخفي هي بدورها كل ما أمرها به.

كذلك، وضعت جميع طرق المدينة تحت رقابة دقيقة، وحيل بين الأفراد والمسافرين وبين الدخول أو الخروج منها، وعلى ضوء هذه التدابير، لم يستطع أحد أن يطلع على مقصد النبيﷺ ويُخبر قريشاً به، سوى رجل اسمه حاطبُ بن أبي بلتعة الذي استطاع من خلال القرائن التي اجتمعت لديه أن يُحدد مقصد رسول اللهﷺ، فكتب إلى قريش بذلك. لكنْ بالإضافة إلى منعه وصول الرسالة، فقد أنّب الرسول حاطباً بشدة.[372]

---

371 . بحار الأنوار، ج19، ص189. نخلة اسمُ منزل بين مكة والطائف

372 . راجع مغازي الواقدي، ج2، ص797. أعيان الشيعة، ج1، ص275. السيرة الحلبية، ج3، ص74، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص58.

٣. الإستتار والمباغتة

كانت التحركات العسكرية لرسول الله ﷺ تُرسم وتنفذ بدرجة عالية من الدقة، بحيث لم يكن العدو في كثير من الموارد، وبالرغم من وجود فرصٍ عديدة لجمع المعلومات، ليحيط بها علماً. وقد بوغت العدو بالكامل، وتعرض لهجوم مفاجئ من المجاهدين، كل ذلك بسبب الرعاية الدقيقة لأصل الإستتار والمباغتة.

فقد صادف كثيراً وصول خبر استعدادِ جماعة أو قبيلة ما للهجوم على المدينة، ولذا النبي ﷺ يهيئ قواته بسرعة، ويباغت العدو ويشتته قبل أن ينهي استعداداته. وعندما أرسل جيشاً لاحتلال "خيبر"، فقد تحرك بسرعة ودقة إلى حد أن أهل "خيبر" لم يطلعوا على ما يجري، حيث تمت السيطرة في الليل على جميع النقاط الحساسة وسائر الطرق والمعابر، من قبل المجاهدين، وذلك قبل أن ينتبه أحد إلى ما يحدث. وكان في اليوم التالي، عندما خرج اليهود من قلاعهم كالمعتاد من أجل متابعة أمور حرثهم وزراعتهم، أن علموا بوجود المسلمين وحصارهم لهم.[373]

ولأجل فتح مكة، وضعت ونفذت بشكل دقيق ومنظم خطة من هذا القبيل لتحرك الجيش، بحيث أن قريشاً مع نقضها الصلح وتوقعها لهجوم المسلمين، لم تتمكن من أن تطلع على أي خبر عن تحركهم إلى أن وصلوا إلى القرب من مكة. إلاّ أنهم حينما علموا بتواجد جيش المسلمين على المرتفعات المحيطة بمكة، لم يكن بإمكانهم أن يغيّروا في الأمر شيئاً.

٤. رعاية أصول التنظيم والإدارة

كان للنبي ﷺ سياسة وبرنامجٌ محددان في كيفية اختيار المجاهدين وإدارة

373 . مغازي الواقدي، ج2، ص643.

تحركهم. ففي بداية الهجرة، حيث كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسعى وراء مناورة العدو، وإظهار قدرته، وإثبات وجوده في مواجهة مشركي مكة، كان يختار في أغلب الأوقات أشخاصاً مجاهدين وأقوياء للمشاركة في السرايا القتالية، لأنهم كانوا قد لاقوا الظلم والتعذيب من قريش، وصدورهم مليئة بالبغض لهم والحنق عليهم، وهو ما كان يمثل عاملاً لصمود زائدٍ منهم.

وفي كل مرة كان النبي يتولى بنفسه قيادة الجيش، كان ينصب مكانه أحداً من المسلمين ليخلفه في غيابه ويدير شؤون المدينة. وأمّا حينما لم يكن يخرج ﷺ على رأس الجيش، فقد كان يعيّن قائداً محنكاً وذا تجربة لقيادته. وعندما كانت بعض المهمات على درجة من الخطورة ويحتمل فيها مقتل القائد، كان يعين أيضاً نائباً للقائد يخلفه في حال استشهاده، وذلك كي لا تتشتت صفوف الجيش.

وبالنظر إلى النسيج القبليّ الموجود، وطبيعة الثقافة والألفة السائدين آنذاك، كان المجاهدون يعمدون في إدارتهم للحروب عادة إلى اتخاذ إجراءات تزيد من الوحدة والانسجام فيما بينهم. ولهذا، وجدنا النبي ﷺ يقسم الجيش في معركة أُحُد إلى ثلاث فرق، ويعقد لكل منها راية: راية مع أسيد بن حُضير قائد الأوس، وراية مع سعد بن عبادة قائد الخزرج، وراية مع علي بن أبي طالب عليه السلام قائد المهاجرين.[374]

في حفر الخندق نشاهد مثل هذا التقسيم والتنظيم أيضاً: المهاجرون والأنصار وبنو عبد الأشهل وبنو الدينار.[375]

في فتح مكة، نُظّم وضع كل قبيلة على حدة، وعقد من الرايات لكل منها بحسب تعدادها. وعند الخروج من المدينة، قُسّم الجيش على شكل مقدمة وميمنة وميسرة، بالإضافة إلى القلب.

374 . راجع تاريخ بيامبر، آيتى، ص285.

375 . راجع المصدر السابق، ص352.

وضع النبيﷺ الزبير على ميسرة الجيش، وخالد بن الوليد على ميمنته، وأبا عبيدة على مقدمته، وتولى هو قيادة الجيش كله بعد أن ثبت في القلب.

هذا الأسلوب من التنظيم، والذي قام على أساس الإرتباط القَبليّ، وأدى إلى وضع كلّ الأفراد الذين تجمعهم معرفة سابقةٌ وحميمة معاً، هو أسلوب يلقى اليوم استحساناً واهتماماً ضمن الأجهزة التي تُعنى بالتشكيلات التنظيمية العسكرية.

كان الجند مكلّفين برعاية النظام والانضباط بشكل كامل، وكل من قصّر تتخذ تدابير بحقّه.

في معركة بدر كان رسول اللهﷺ يتولى تنظيم الصفوف بنفسه مستخدماً عصاه التي يحملها، حيث كان يضعهم في صف واحد، مستقيم ومرصوص، من خلال تقديم البعض وتأخير البعض الآخر.[376]

٥. التموضع المناسب

على أثر الاطلاع الكامل والدقيق للطبيعة الجغرافية لمنطقة العمليات، وتحديد النقاط التي يمكن أن ينفذ منها العدو فيؤذي جيش المسلمين، كان النبيﷺ يبادر قبل نشوب المعركة إلى التموضع في مكانٍ، وبنحوٍ معيّن، يُقللّ الأذى إلى أدنى درجة ممكنة.

في غزوة بدر، نزلَﷺ في البداية عند أول آبار بدر، لكنه بعد التشاور مع أصحابه لم يجد المكان مُناسباً، فتقدّم ونزلَ عند آخر آبارها (البئر الأقرب إلى العدو) وسدّ الآبار من خلفه.[377]

في معركة أُحُد، بعد أن خرج المسلمون من المدينة ووصلوا إلى القرب من

376 . راجع تاريخ بيامبر، آيتي، ص239.

377 . المصدر السابق، ص238.

جبل أُحُد نزلﷺ في مكان يحده جبل أُحد من جهة، والمدينة من جهة ثانية و"عينين" من جهة ثالثة، وهو ما جعل العدو لا يستطيع المواجهة والتقدم إلاّ على جبهة واحدة.[378]

في معركة الأحزاب، كان يجب على المسلمين إما أن يخرجوا للقاء العدو فيقاتلوا على مسافة بعيدة من المدينة أو أن يبقوا في المدينة ويدافعوا من داخلها، لكن عندما بحثوا المسألة بشكل أدق وجدوا أن المدينة عرضة للخطر والأذى من جهة واحدة فقط، فحفروا خندقاً في تلك الناحية، وتموضعوا ما بين المدينة والخندق - خلفَ جبل "سلع" - حتى إذا استطاع العدو أن يقفزَ من فوق الخندق، عمدوا من خلال إلقاء الحجارة في طريقه، إلى إعاقة تحركه، وبالتالي استفادوا من الحجارة كسلاح ضدّ العدو، إضافة إلى توفير فرصة للإشتباك من جهة واحدة فيكونوا في مأمنٍ من خلفهم.[379]

٦. حفظ وحدة المجاهدين

من خلال تقويته للروابط الإيمانية والعاطفية، وللأخوّة الدينية بين المجاهدين كان النبيﷺ يقوي دعائم الاتحاد والوحدة، حيث حرص بقوة على المحافظة على هذه الدعائم صلبة متينة.

ففي طريق العودة من غزوة بني المصطلق، وقع نزاع بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، واشتد الأمر بينهما حتى نادى كل منهما على قبيلته لتنصره، واستغلّ المنافقون من أمثال عبد الله بن أبيّ ما جرى، وسعوا في إثارة نار الفتنة والإختلاف.

عندما وصل خبر هذه الفتنة إلى الرسولﷺ، وجد المصلحة في أن يتحرك

378 . المصدر السابق، ص287.

379 . راجع مغازي الواقدي،ج2، ص446-445.

بالجند حتى يبعد انتباههم عما حدث. وبالفعل، مع أن الوقت لم يكن مناسباً للتحرك، أمر النبي الأكرمﷺ الجميع بالتحرك، وقضوا يومهم وليلتهم وكامل اليوم التالي في المسير تحت وطأة حرارة الطقس، حتى غلبَ عليهمُ التعب وبمجرد أن استقرّوا استسلموا للنوم. ومن خلال هذا الأمر منع النبيﷺ وقوع الاختلاف والفرقة في الجيش، وأفشل خطة المنافقين.[380]

٧. إيجاد الرعب والخوف والتفرقة لدى العدو

كان رسول اللهﷺ يسعى بطرق مختلفة لإرعاب العدو وإيجاد الفُرقَة بين صفوفه؛ وقد أقدم على خطوات عدة لتحقيق هذا الهدف، نشير إلى نموذجين منها:

أ. لأجل أن يكسر شوكة الأعداء خلال واقعة الأحزاب ويفرّق صفوفهم، بعد أن كانوا قد اتحدوا ضد الإسلام يريدون حربه واقتلاع بنيانه، أرسلﷺ مبعوثاً سرياً إلى غَطَفانْ ليفاوض زعماءها، مقترحاً عليهم أن يعطيهم محصول المدينة من التمر لمدة عام واحد بشرط أن يرجعوا عن حرب المسلمين.

قبلت غطفان هذا الاقتراح، وكتبت عهداً بذلك، ولكن لأن زعماء الأنصار رفضوا الاتفاق، لم يجد طريقه إلى التوقيع. ومع ذلك، لم تُعلم غطفان بهذا الرفض، فظلت تماطل قريش ولا تجيبها إلى طلبها على أمل توقيعه في كل يوم. من جانب آخر، أمر نعيم بن مسعود (ورد ذكر القصة سابقاً) الحديث العهد بالإسلام أن يوجد الاختلاف بين قريش وبني قريظة، فكان هذا الاختلاف الذي أوجده أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة قريش.

ب. إجراء المناورات والاستعراضات العسكرية. والأمثلة على هذا عديدة، منها الاستعراض الذي أمر بهﷺ عند فتح مكة ليرهب أبا سفيان ومن ورائه

380 . راجع السيرة النبوية، ابن هشام، ج3، ص304، دار إحياء التراث العربي.

البقية المتبقية من الكفار والمشركين. وقد كان لهذا الاستعراض أثره البالغ في نفس أبي سفيان، الذي أصرّ عند عودته إلى مكة على أن يستسلم الجميع.

أخلاق القيادة النبوية

تولى رسول اللهﷺ مسؤولية القيادة في الغزوات، وقد كانت أخلاقه القيادية أحد العوامل المهمة في تحقيق الانتصارات. فبمشاهدة شجاعته وإخلاصه وإيثاره وسائر خصاله الحسنة، كان المجاهدون يسارعون بعشق كبير للقتال بين يديه.

من هذه الخصوصيات والميزات البارزة لقيادة النبيﷺ:

١. الحضور في الخط الأمامي

لقد كان رسول اللهﷺ أكثر الناس شجاعة في ساحات الحرب الطاحنة، وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

"كُنّا إذا احمرّ البأسُ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن منّا أقربُ إلى العدو منه".[381]

كذلك، قامﷺ بنفسه بالمشاركة في حفر الخَندق. فبالإضافة إلى إدارة العمل والإشراف عليه، رأينا حملَ المعوَل وضرب الأرض، مثله مثل سائر المسلمين.[382]

وكان المسلمون آنذاك يعانون فقراً شديداً، فلم يكنﷺ ليختلف حالُه عن حالهم، بل كان مواسياً لهم في هذا البلاء أيضاً.

يقول جابر بن عبد الله الأنصاري:

"فعلمتُ أن رسول اللهﷺ مُقْوِي (أي جائع) لما رأيتُ على بطنه الحجر".[383]

381 . نهج البلاغة، ص709، إصدار سفارة الجمهورية الإسلامية بدمشق.

382 . راجع بحار الأنوار، ج20، ص219.

383 . بحار الأنوار، ج20، ص219.

٢. الإيثار والتضحية

كان النبي(ص) يرمي بنفسه وأهلِ بيته في المخاطر خلال الأحداث الصعبة. وعند تقسيم الغنائم كان مستعداً كذلك للتنازل عن سهمه وسهم أهل بيته للآخرين. يقول عليّ(ع):

"وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا احمرّ البأسُ وأحجمَ الناسُ، قَدَّم أهل بيته فوقى بهم أصحابَهُ حَرَّ السيوفِ والأسنّة، فقُتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقُتل حمزة يوم أُحد، وقُتل جعفر يوم مؤتة..".[384]

"وأدرك وفدُ هوازن رسول الله(ص) "بالجعرانة" وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله لنا أصل وعشيرة، وقد أصبنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منّ الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صُرَد فقال: يا رسول الله، إنّا لو ملحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم ولّى منّا مثل الذي ولّيت لعادَ علينا بفضله وعطفه وأنت خير المكفولين، وإنما في الخطائر خالاتك وبناتُ خالاتك، وحواضنك وبنات حواضنك اللاتي أرضعنك، ولسنا نسألك مالاً إنما نسألكهن، وقد كان رسول الله قسّم منهن ما شاء الله، فلما كلّمته أُخته قال: أمّا نصيبي ونصيبُ بني عبد المطلب فهو لكِ وأمّا ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم..".[385]

٣. العدل والمساواة في التعامل

كان النبي(ص) يراعي العدل في علاقاته ومواقفه، سواءً في الحروب أم في غير ذلك؛ فقد كان يوزّع الغنائم على المجاهدين بالسوية: الفرسان لهم نسبة والمشاة لهم نسبة. ولم يكن أهله وأقرباؤه لينالوا أي امتياز. فعندما أُسر عمه العباس

384 . نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، من كتاب له إلى معاوية، ص369-368.

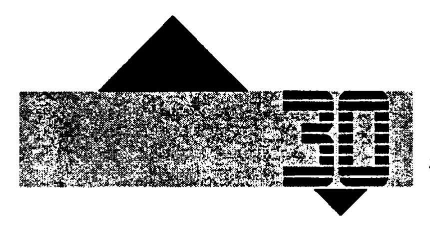
385 . بحار الأنوار، ج21، ص174-173. □الجعرانة موضع قريب من مكة□.

وابن عمه عقيل في واقعة بدر، أخذَ منهم الفدية كسائر الأسرى.[386]

٤. احترام آراء الأصحاب

على الرغم من أنه "العقل الكلّي" المؤيّدُ من الوحي، كان رسول الله ﷺ يشاور الناس دائماً. وقد دلّت استشاراته العسكرية على أنه كان ﷺ يحترم نتيجة المشورة ويعمل بها، حتى عندما تكون خلافاً لرأيه. لقد كانت خصاله الحسنة تدفع المجاهدين كما أشرنا إلى التوجه بشوق نحو الجهاد والقتال بقصد تحقيق الأهداف التي كان ﷺ يرسمها، حيث شكّل ذلك عاملاً من عوامل النصر.

386 . راجع بحار الأنوار، ج19، ص302.



السيرة العسكرية لأمير المؤمنين عليه السلام

أمضى الإمام علي عليه السلام شطراً طويلاً من عمره الشريف في جبهات الحرب والجهاد في سبيل الله، حيث سارع خلال هذه المرحلة إلى الحفاظ على الإسلام بمنتهى الإيثار والتضحية، حتى أضحى له الفضل الأكبر في النجاحات التي حققها هذا الدين الإلهي.

فخلال حياة النبي صلى الله عليه وآله، شاركَ عليه السلام في غزوات وسرايا عديدة، كان له في أغلبها شرفُ تحقيق الغلبة والنصر. وفي أيام خلافته، حيث بادر الأعداء إلى إشعال نار الحرب، واستمروا في قتاله طوال السنوات الخمس لحكومته، تعدُّ جهوده لمواجهة أعداء الإسلام، ومشاركاته الفعّالة في ميادين القتال، وشجاعته وقيادته الفريدة، من الأمور الواضحة لدى كلّ المطلعين على التاريخ.

ويمكن الإطلاع على سيرته العسكرية من خلال أحاديثه وأعماله في جميع هذه الحروب، لا سيما الحروب التي وقعت زمان خلافته. فكلمات الإمام التي خرجت على صورة خُطبٍ ورسائل، تحكي عن أنه كان أشد الناس معرفة بالشأن العسكري.

وبالنظر إلى شمولية أحاديث الإمام على هذا الصعيد، وسعة المنقولات التاريخية حول سيرته العسكرية، سعينا في هذا الفصل كي نشير إشارة عابرة إلى البعض من جوانب هذه السيرة.

أ. الدعوة إلى الصلح وعدم البدء بالقتال

يعد هذان الأصلان من الأصول الدائمة والقطعية التي سار عليها علي عليه

السلام في حربه مع أعدائه، لأنّ هدفه الأساسي كان هداية الناس جميعاً، بما فيهم أولئك الأعداء.

فقبل أن يشتعل فتيل القتال، كان أمير المؤمنين عليه السلام يدعوهم دائماً إلى الصلح، حيث لعله في ظل الصلح والسلام، وبالاستفادة من تبادل وجهات النظر بين الفريقين يستطيع أن يهديهم إلى الحق، ويمنع وقوع الخسارة في مال المسلمين وأرواحهم. وقد كان في بعض الحروب يبادر شخصياً إلى طرح هذه الدعوة، وفي بعضها الآخر كان يرسل من ينوب عنه في ذلك.

ففي حرب الجمل، أرسل في بادئ الأمر بعضاً من أصحابه ومنهم صاحب النبي صلى الله عليه وآله القعقاع بن عمرو لمكالمة القوم، ثم توجه بعد ذلك بنفسه إلى العدو وكلّمهم في أمر القتال، فاستطاع بنصائحه أن يَردّ الزبير عن عزمه.

في حرب الخوارج، بذل عليه السلام جهوداً كبيرة لردعهم عن الولغ في دماء المسلمين ولردهم إلى صفوفهم، حيث كان على الدوام ـ وأكثر من أي شيء آخر ـ يفكر في وحدة المجتمع الإسلامي، ولهذا كان يرجح السلم على الحرب، كما صرّح بذلك مرات عدة منها ما قاله بعد مسألة التحكيم في صفين:

"وليس رجل ـ فاعْلَم ـ أحرص على جماعة أمة محمد صلى الله عليه وآله وأُلفتها منّي، أبتغي بذلك حسن الثواب وكرمَ المآب".[387]

وإذا لم تنفع الدعوة إلى الصلح، وعزم العدو على الحرب، كان يأمر القادة على الجند أن لا يكونوا البادئين بالقتال، بل أن يصبروا حتى يبدأهم القوم بذلك. وقد بيّن عليه السلام علة هذا الأمر قبل شروع المواجهة في صفين، موجهاً الخطاب إلى عسكره:

"لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجّة وترككم إياهم حتى

387 . نهج البلاغة، فيض الإسلام، الرسالة 78.

يدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم..".[388]

في حرب الجمل، فعل الشيء نفسه وطلب من جنده أن لا يكونوا البادئين أيضاً، إلى أن استُشهد بعض أصحابه على يد جيش أهل الجمل، فتوجه إلى الله قائلاً: **"اللهم اشهد"**، ثم بدأ القتال.[389]

ب. الإدارة القوية في تجهيز القوات وتنظيمها

يعتبر علي عليه السلام ضمن هذا المجال أكثر قادة الحرب فعالية، وقد خلّد التاريخ ذكره في الخالدين. ونحن فيما يلي نعرض لهذه الخاصية في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، على صورة نقاط:

١. الاهتمام بعديد القوات وعتادها

حرص الإمام عليه السلام على هذين الأمرين لما لهما من دور في تشكيل قوة عسكرية رادعة، وكلما كان يعزم على الخروج إلى القتال كان عليه السلام يسعى في تأمين العديد والعتاد المطلوب والكافي، وذلك من خلال إرسال مبعوثين له إلى المدن والقبائل للقيام بإنفار الجند وجمعهم. وأحياناً كان يخطب بنفسه في الناس ليعبئ أكبر عدد من المقاتلين.

وحينما كان يرسل الجند لإطفاء الفتنة والعدوان، كان يلي مسألة عدد المقاتلين أهمية خاصة حيث يعمل على تأمين ما يكفي للغلبة على العدو. وللمثال، عندما بدأ يتهيأ لحرب أهل الجمل الناكثين، بعث بهاشم بن عتبة أول الأمر إلى أبي موسى الأشعري والى الكوفة لإنفار الناس إليه. لكن بعدما وصله الخبر بأن أبا موسى لم يعمل بكتابه، وأساء معاملة مبعوثه إليه، قام بإرسال الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وقيس بن سعد، حيث استطاعوا بمساعدة مالك الأشتر أن يعبئوا

388. المصدر السابق، الرسالة 14.

389. راجع الجمل، الشيخ المفيد، ص182، مكتبة الداوري.

حوالي عشرة آلاف مقاتل ليلتحقوا بجيش الإمامعليه السلام بذي قار.[390]

وفي حرب صفين، سعى عليه السلام لأشهر، وأرسل رسائل كثيرة إلى عماله على المناطق، كي تمكن عن طريق إخراج الناس إلى القتال، من زيادة عدد الجند حتى يكون مؤهلاً لمواجهة جيش معاوية.

من الناحية الكيفية، بذل الإمامعليه السلام جهوداً كبيرة أيضاً من أجل رفع جهوزية جيشه العسكرية، وذلك من خلال تعليم قواته فنون القتال المختلفة؛ وسوف نشير إلى أهمية هذا الأمر في نظره الشريف، في نقطة مستقلة.

٢. اختيار القادة اللائقين

من الأمور التي أخذها عليه السلام بعين الاعتبار، هو ضرورة أن يتحلى القادة في أي مؤسسة عسكرية بالتجربة والخبرة والمهارة والحنكة والاستقامة والالتزام بأعلى درجاتها. ولهذا السبب، فقد أشار في مطاوي خطبه ورسائله إلى خصوصيات القائد اللائق بتولي المسؤولية، ومما ذكره على هذا الصعيد:

أ. أن يكون من أهل الحرب البواسل.

ب. أن يكون ممن مُحّصوا بالشدائد والبلاءات.

ج. أن يكون ذا تجربة ومن أهل الشورة.

د. لا يخشى الهزيمة ولا يُقعده الضعف.

هـ. لا يتباطأ عما ينبغي الإسراع إليه ولا يسرع إلى ما ينبغي الإبطاء عنه.

و. أن تكون له مكانة ومنزلة في نفوس جنده.

ز. أن يكون من أهل النُصح (لله وللرسول وللإمام).

ح. أن يكون من ذوي المروءات والأحساب والبيوتات الصالحة.

ط. أن يتصف بالشجاعة والسخاء والكرم.[391]

---

390 . الجمل، الشيخ المفيد، ص138-130 ملخصة.

391 . بالاستفادة من نهج البلاغة، الرسالتان: 13 و53.

٣. تنظيم القوات العسكرية

حين الحرب، كان علي عليه السلام يقوم بتنظيم صفوف قوّاته، ويقسّمها إلى مقدمة الجيش والصفوف المختلفة، ميمنة الجيش، ميسرة الجيش، قلب الجيش، والى قوات المشاة والفرسان، وأحياناً كان يقتطع قسماً من الجيش ويبقيه كذخيرة ليمدوا العسكر بالقوة.[392]

٤. إصدار التوجيهات

كان الإمام علي عليه السلام، بعنوانه القائد العام للجيش، يوجه قواته بشأن القضايا الاجتماعية والسياسية والعسكرية و.. ويرسي علاقة فكرية عميقة معهم. كان يحذرهم من التفرق، لأن التفرق بين العسكر آفة عظيمة جداً للجيش. وقد أشار إلى هذا الأمر في وصية له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو، فقال:

"..وإياكم والتفرّق: فإذا نزَلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتُم فارتحلوا جميعاً..".[393]

ج. أهمية تعليم الأصول والفنون العسكرية

كان علي عليه السلام إذا أراد الخروجَ أو بعثَ بجيشٍ لقتال العدو، شَرع بتعليم عسكره أصول الحرب وفنونه. وقد ورد في العديد من الخطب والرسائل تفصيل هذه الأصول والفنون، والتي يمكن فهرستها في النقاط التالية:

١. تقديم الدَّارِعْ (لابسُ الدرع).

٢. تأخير الحَاسِرْ (من لا درع له).

٣. العضُّ على الأضراس (لأنه يجعل السيف أضعف على التأثير في الرؤوس

392 . نهج البلاغة، الخطبة: 48.

393 . نهج البلاغة، الرسالة: 11.

إذا وقع عليها).

٤. القتالُ في ظلّ الرّماح.

٥. غَضُّ الأَبصارُ (لأنه أربطُ للجأش).

٦. إماتةُ الأصوات (أي خفضُها).

٧. نشرُ الرايات وعدم التفرق من حولها.

٨. جعل الرايات بأيدي الشجعان (وأهل المروءة).

٩. ضرورة أن يكفي كل مجاهد كُفوءَهُ من أعدائه فيقتلَهُ.

١٠. إذا قتل كفؤَه فعليه أن يسرع إلى أخيه فيعينه.

١١. الثبات وعدم الفرار من ميدان القتال.

١٢. الخوف من الله.

١٣. استشعار الخشية وتجلبُب السكينة.

١٤. قلقلة السيوف في أغمادها (أي تحريكها للتأكد من سهولة خروجها منها).

١٥. النظر إلى العدو من طرف العين (لإرعابه).

١٦. الضربُ بالسيف في الجوانب يميناً وشمالاً، وأن يكون الضرب بحدّ السيف.

١٧. التضحية بالنفس في سبيل الله.

١٨. الخَطْوُ (المشيُ) بثبات.

١٩. عدم السماح للخوف بأن يأخذ طريقه إلى النفوس.

٢٠. التراجع التكتيكي ومعاودة الكرّ (الهجوم)..الخ.[394]

394 . نهج البلاغة بالاستفادة من الخطبتين 66 و124.

د. تكتيكات أمير المؤمنين عليه السلام الحربية

كان الإمام عليه السلام يستفيد من تكتيكات خاصة تتلاءم مع أوضاع الجبهات وظروفها. فعلى سبيل المثال، كان يلجأ في كثير من الحروب إلى القتال رجلاً لرجل، حتى أنه كان يخرج بنفسه أحياناً ليبارز عدداً من خصومه فيرديهم.[395]

وفي بعض الأحيان، كان يأمر عدداً من جنده للخروج ومبارزة عددٍ من جيش العدو؛ وقد استخدم عليه السلام هذا الأسلوب من القتال في بداية حرب الجمل وأثناء حرب صفين.

في موارد أخرى، كان الإمام عليه السلام يبدّلُ تكتيكه هذا، فيأمر بهجوم شامل لكل قواته، كما حصل في ليلة الهَرير حيث توجه الجيش بأكمله لقتال جيش الشام، نزولاً عند أوامر علي عليه السلام.[396]

أحياناً، كان عليه السلام يختار موضعاً خاصاً لدى العدو، ويوجّه كلّ قواته نحوه، كي يتمكن من خلال هزيمة هذا القسم من الجيش (عادة هو القلب)، أن يُفضل خطة العدو. ففي حرب الجمل مثلاً، استهدف "جمل عائشة". وعلى ضوء هذه الخطوة، وبعد قتال دام أدى إلى عقر الجمل، كان النصر من نصيبه. في حرب صفين كذلك سعى لاستهداف خيمة معاوية، حيث كانت تدار المعركة منها.

لكن في حرب النهروان اختلف أسلوب علي عليه السلام بشكل كامل. فقد لجأ إلى محاصرة العدو بواسطة الخيّالة من كل جانب، واستطاع في ظل هذه الخطوة من القضاء المبرم على الخوارج.[397]

395 . راجع وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص272.

396 . راجع المصدر السابق، ص475.

397 . راجع الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج3، ص346، دار صادر، بيروت.

هـ. رعاية الآداب والأصول الإنسانية في الحرب

كان الإمام عليه السلام يحرص حرصاً تاماً على مثل هذه الرعاية في سيرته العسكرية. وفيما سبق، أشرنا إلى أن الإمام عليه السلام كان يدعو دائماً إلى الصلح والسلام قبل المبادرة إلى القتال، ويسعى عن طريق كلماته واستدلالاته المنطقية لنزع أسباب الخلاف والمواجهة، وفي كل مرة كان العدو يصرُّ فيها على باطله، لم يكن ليبدأهم بالقتال، وهذا ما دلّ على أن علياً عليه السلام لم يخترِ الحربَ كحلٍّ أول، وإنما كان يلجأ إليه عند الإضطرار.

كان الإمام عليه السلام يأمر عسكره برعاية تلك الأصول والآداب، وأن لا يظلموا أحداً. فمن كتاب له إلى العمّال الذين يطأ الجيش عَمَلَهُمْ (أي إلى الولاة على المناطق الذين يمرُّ الجيش بأراضيهم) قال عليه السلام:

"مِنْ عبدِ الله عليٍّ أميرِ المؤمنينَ إلى مَنْ مَرَّ بهِ الجيشُ من جُباةِ الخَرَاجِ وعُمَّالِ البِلادِ. أمّا بعدُ؛

فإنّي قد سَيّرتُ جُنوداً هي مارَّةٌ بكُم إنْ شاءَ اللهُ، وقدْ أَوصيتُهُم بما يجبُ للهِ عليهِمْ من كفِّ الأذَى، وصرف الشَّذىَ[398]، وأنا أبرأُ إليكُم وإلى ذمّتكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ[399] الجيشِ، إلاّ من جَوْعَةِ المُضطَرِ، لا يَجِدُ عَنْها مذهباً إلى شبَعِه. فَنَكِّلُوا[400] مَنْ تناولَ منهُم شيئاً ظُلْماً عنْ ظُلْمِهِمْ، وكُفُّوا أيديَ سُفَهائكُمْ عنْ مُضَارَّتِهِمْ[401]، والتَّعرُّضِ لهُمْ فيما استثنيْناهُ منهُم. وأنا بَينَ أَظْهُرِ الجيشِ، فارفَعُوا إليَّ مَظالِمَكُمْ، وما عَراكُمْ[402] مِمّا يَغلِبُكُمْ مِنْ أَمرِهِمْ، وما لا تُطيقونَ دفعَهُ إلاّ باللهِ وبي، فأنَا أُغَيِّرُهُ بمعونةِ اللهِ، إنْ شاءَ اللهُ".[403]

398 . الشذى: الضرب والشر.

399 : معرّة: أذى.

400 . نكّلوا: عاقبوا.

401 . مضارتهم: الإضرار بهم.

402 . عراكم: أصابكم.

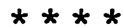
403 .نهج البلاغة، الرسالة 60.

وخلال القتال أيضاً، كان علي عليه السلام يراعي هذه الآداب والأصول الإنسانية. ففي حرب صفين مثلاً، بعد أن سيطر عسكره على ماء الفرات، وعلى الرغم من أنّ جيش الشام كان قد منعهم الماء حينما كانت الشريعة تحت سيطرته، أجاز الإمام لأعدائه أن يستفيدوا منه.

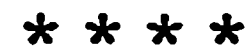
كذلك، أوصى جنوده بوصايا لازمة إن هم انتصروا، مشدداً عليهم أن يراعوها. ومن ذلك ما قاله لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

..فإذا كانتِ الهزيمةُ بإذنِ اللهِ فَلا تقتُلوا مُدبِراً، ولا تُصيبُوا مُعْوِراً[404]

ولا تُجهِزُوا على جَريحٍ، ولا تَهِيْجوا النساءَ بأذىً، وإنْ شَتَمْنَ أعراضَكُم وسَبَبْنَ أمراءكم.. .[405]



ما ذكرناه كان نماذج قليلة من رعايته عليه السلام للأصول الإنسانية في الحرب. وإن التأمل في الأخلاق الكريمة لذلك الإمام العظيم يثبت أن أحداً من الناس لم يسبقه أو يَفُقْهُ على هذا الصعيد.



تمّ في أيام العزاء الفاطمية

يوم الأحد 6 جمادي الثاني 1422 هـ.

---

404 . مُعْوِراً: الذي أمكنَ من نفسه وعجز عن حمايتها. وأصله أعوَرَ أي أبدى عورته.

405 . نهج البلاغة، الرسالة 14.

الجهاد بالأولياء



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس

تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 307/25

www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com

E-mail:daralwalaa@yahoo.com

